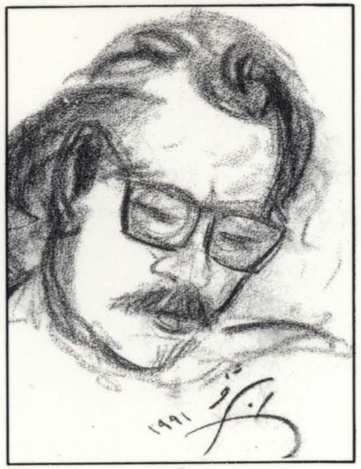


خـــــواتـــــم

« ... فلتمتِ الكلمة!

فليمت الشعـر، الأدب، الفن، لتنقـرض اللغـة، ليضمحـل الانسـان الالهي لحسـاب البـرنـامج، ليبسط النسر الجديدُ جناحي ملكوته العملاق على الشرق والغرب، ليزُل هذا الوهم اذا كان وهْماً، ولا يُترك بارقٌ غيرُ الحق.

الكلمـة تكـون بحـاجة الحياة إليها لا بالشفقة. وتكون كلّها، وفوق الكلّ، أو لا تكون.

هذا هو الوقت الأمثل لامتحانها. ولن يربح شيئاً المنتصرُ عليها. هذا هو قصاص الانسان في قمّة مجده.

ونعمتُه وخلاصه في قاع يأسه ...»

من المقدمة

1855131153

كتاب الناقد

أنسي الحاج

خواتم



RIAD EL-RAYY
BOOKS

الغلاف: لوحة للفنان محمود حمّاد

خواتم

كتاب الناقد

خواتم

أنسي الحاج

RIAD EL-RAYYES
BOOKS
رياض الريس للكتب والنشر
LONDON - CYPRUS
لندن - قبرص

KHAWATEM

BY

UNSI EL - HAGE

First Published in the United Kingdom in 1991

56 Knightsbridge
LONDON: SW1X 7NJ
U.K.
CYPRUS: P.O.Box: 7038 - Limassol

British Library Cataloguing in Publication Data
El - Hage, Unsi
Khawatem
I. Title
320 - 95692
ISBN 1-85513 -115-3

الطبعة الاولى: تموز/ يوليو ١٩٩١

المحتويات

مقدمة

هل أفلتت الظواهر والحقائق من محيط الكلمة وبات الواقع يُلمَس خارج لغاتها؟ ألم تعد الكلمات تبلور الحقائق وتبدعها؟ هل حلّت الرياضيّات محلّها؟ والاحصاء، والتوثيق، والحفظ الالكتروني؟ هل أصبحت اللغة تَنْبت من اللغة لتُنجب لغة، دون أملٍ بأن تُفضي كل هذه اللغات إلى شيء خارج حلقتها المُفْرَغة؟ وهل الجواب عن التساؤل الذي طرحه فيتغنشتاين هو: نعم، الكلمات لا تتحدث إلّا عن كلمات، ولا يحق لنا الكلام على الواقع لأن الكلمة ما هي في منتهى أمرها سوى انكفاء لا نهاية له؟

بين الأُمّية الجديدة، المقنّعة بحجج السرعة والتكنولوجيا والمدنيّة السمعيّة البصريّة، والانحطاط العضوي الذي يفترس اللغة، تصل هذه الى حافة الاضمحلال. الاضمحلال الكميّ - إذ كثيرٌ من اللغات، إن لم يكن كلّها، يشهد تضاؤلاً مطرداً في مفرداته المستعملة - والاضمحلال النوعي، حيث فقدت الكلمة ما كان لها من حيوية وفعل، ناهيك بالسحر. ويُخشى، إذا لم يُعالج مَدّ الأمية الجديدة، أن يجيء يومٌ لا تعود فيه اذنُ الانسان تسمع من كلامٍ «شعريّ» غير ذلك المقدَّم في الاعلانات، التلفزيوني منها بنوع خاص.

أُسطورة برج بابل تُكْتَب عكسيّة: لغة عالميّة واحدة تُخاطب أهل جميع

اللغـات ببضع مفـرداتٍ وصيَغ فيفهمهـا أهل جميـع اللغـات لا لأنها أبـديّة بـل لأنها تافهـة ولا لأنهم فقهاء بـل لأنه يُجـرى غسلُ أدمغتهم وتقصيرها إلى حجم اللغة التافهة.

أي أنّ البشرية لا تُعاقَب لأنها تتكلّم لغةً واحدة تُملّكُها قوّة الاستقلال عن الآلهة بل اللغةُ الواحدة غَدَت هي عقابها. وبَدَل أن تقودها اللغة الواحدة إلى الالوهة أو الحريّة تسوقُها إلى الحظيرة والاستعباد.

المُبلِبـل لم يعـد يهتم لبلبلة الالسُن فحسبـه تـرويـج النمط الـواحـد، وأحـاديّةِ التقليـد، وببغـاويّـةِ التصرّف والسلوك والتشكُّـل والتعبـير. وترويجه يتخذ، بسبب ضخامـة امكانـاته وشبـه استحالـة منافستهـا، صـورةَ الفَرْض، التعميم الحتميّ. وتقف وسـائل الاعـلام في خدمـة هذا الاله الجديد، مـدمّر الكلمـة. فقد بـذّلتِ الكلامَ ديمـوقراطيتُهـا الزائفة، وقزّمتْ ورخّصت وتَجّرتْ وقـذفت كل شيء في سبـاقِ سرعةٍ بلهـاء قضت على التـأمّل وأحلّت الالمعيّـة الدّجـالة الانتهـازيـة محـل الصدق والعمق والجدّية والشفافية.

لقد أصبحت الكلمات تَنْقُلُ الينا بلاغاتها، في أيّة لغة كانت، لكنها لا تقيم بينها وبيننا تواصُلَ الحُبّ. القربانُ انفصل عن رمزه. هـل ماتت الكلمة؟

***

مذعورة من سقوط هيكلها، مجروحة من دكّ قـداستها وتعفـير اكليلها في غبار الضحالة والعقم، تنسحب الكلمة «السابقة» (كلمـة الأدب، الشعـر، الفكر، بـل «كلمة» الفن كلّه) إلى ظـلّ نفسهـا تتسـاءل عن نكبتها ومصيرها، ناسجةً بيوت الأدب المتحدّث عن الأدب، والرواية عن الرواية، والشعر عن الشعر...

يرتدّ المبدأ على أعقابه ليحاكم ذاته، لينهـار، ليصمت، ليعيد النـظر. تتطلع الكلمة الى العالم فترى أنها أمّـه ولكنه ليس ابنهـا. لقد تمـزّقت

العلاقة. الخلائق تستقلّ لا عن الخالق فحسب بل عن غاية خَلْقها، فتعيش وتتعامل، تتعالم وتتجاهل، بلغةٍ مات قلبُ شعورها، فَقَدَتْ روح الرغبة، لا همسُها همسٌ ولا صراخُها صراخ.

وبعدما أضاع الناس إيمانهم بالتعبير الفنيّ أضاع التعبير الفنيّ ايمانه بنفسه، وبات أهل الفن يفتشون في ما بينهم عمّن يعيدهم إلى الايمان، أو يؤخذون بمن راح يكسّر ما تبقّى من رواسبه فيهم.

***

هل من حَلّ؟

هل هناك بابٌ، طريق؟

***

يتجهون نحو الرخاء ولغاتُ تعبيرهم معاقة. حضارة تتقدّم وتتخلّف معاً. تُنزّه بَشرَها بين الكواكب وتحت البحار، تتلاعب بخلاياهم الوراثية ودوائر أعصابهم، وتبليهم بعطالة الكلمة. وبعدما فقدت اللغة كرامتها ـ كرامة عبقريتها الذاتية، وكرامتها الانسانية ـ نضتْ عن نفسها النعمة، عهّرتها الدعاوة، التهمها حريق السطحيّة والجهل والاعلان، حريق الاتجار والاستهلاك، حريق الانحلال والتضخم، وأجهز عليها عجزها حيال مشهد المأساة الانسانية.

لوحة قاتمة؟ ولولا خداع المظاهر القويّ، الغازي، لبدت أدعى الى الخوف، ولو أن أحداً لا يبالي.

هل نَقْبَل؟ هل نموت مع الحياة الجديدة؟ هل ندع الحياة الجديدة تخون أحلامنا ونَقْبَل؟

***

العلاقة بين «خواتم» وهذه التساؤلات أني كتبتُ «خواتم» في صميم معاناة هذه المشكلة، وبعد صمتٍ طويل. وكنتُ، وما زلت، كلما

كتبت عبارةً بعد ذلك الصمت أفعلُ كعائدٍ من الموت أو كمزمعٍ على العودة إليه.

بحثٌ عن حلّ لمأزق الكلمة وبحثٌ عن حلّ بالكلمة. أليس مبدأ البحث هو الخطأ؟ ربّما أننا نُحمّل المَرْكب فوق وسعه. لماذا لا نلهو بالكلمات، بالفنون كلّها، ونترك الموتى يدفنون موتاهم؟ إنه المُنى. والغناءُ، والفناءُ استمتاعاً... الفنُّ، الشعر، مظلومٌ بعدم عودته الى تلك الربوع. وهو عائد اليها لا محالة، ولو كالعادة مرحليّاً، ولكنْ من قَبْلُ لا بدّ له لا أن يُنقذ نفسه من الغرق في الطوفان الجديد فحسب بل أن ينقذ العالم والحياة من هذا الغَرَق، أو أن يبعثهما بعد الاختناق.

كيف ننقذ الادب، الفن، اللغة، الكلمة؟ بإنهاء لغةٍ واستنباط لغة جديدة؟ لقد تم ذلك مراراً وأدى بدوره إلى المأزق. بالعنف اللغوي، التصعيد، الانتهاك؟ لقد تم ذلك وآل الى الابتذال والخراب. بالابتعاد عن لغة الدهماء والغوغاء، وعن اللغات الاعلامية والكتابية الطاغية برواسمها «التجديدية» واقامة مسافة انقاذ بين هذه جميعاً وبين لغة نعمل على انتشالها بهدوء، وعلى اعادة تكوينها، اذا استطعنا بعد، بأمومة الصمت؟ لقد تم ذلك أيضاً قبل مئة عام ثم عاد طغيان المدنيّة الاستهلاكية وأغرقه في بحر البؤس العقلي - الروحي - اللساني. بالهذيان، نَزْع السدود، الكتابة الاوتوماتيكية؟ ليتها كانت دائماً ممكنة كأول مرّة.

كيف؟ كيف؟

***

ما يُرعب ليس تخيّل عالم يموت فيه الشعر (وكلُّ فنّ «داخلي») بل تخيّل عالمٍ يسوده نظامُ بَرْمَجةِ المشاعر والافكار والغرائز. نظامُ اللغة الالكترونية بعد الدماغ الالكتروني. نظامٌ تضمحلّ معه اللذةُ

الـداخلية الخـاصة، الفـريدة، العـاصية، والتي كـان الشعـر، بمعنـاه الأوسع، هو مُغنيّها ومُغْنيها، حارسها ونبيّها أبد الأبد.

وهو هذا بعض أهم أدواره اليوم وغداً اذا عاد. إذا قام.

***

ويستطيع الشعر، الكتابة، الفنّ، تستطيع شيئاً حقيقيـاً لمصيرنـا؟ هل من خلاصٍ عن طريقها؟

في انشغاله بتمويه بشريّته يَنْصبُ الانسان لعينيه أهدافاً تتخـطاه. واذا قيل: الكلمة لا تستـطيع، كـل الخَلْق محاكـاة، والمحاكـاة مهما عَـظم شأنها صغيرة، واذا قيل: منتهى الكلمة ما لقيه ملارميه في آخر «حَفْر البيت»: العدم، اذا قيل هـذا وذاك، أي أن الكتابـة عبث، فلماذا لا تكون، فور ذاك، تمـريغاً لعبث الـوجود بعبثهـا ولمحدوديـة الخَلْق بلا محدوديّة جنونها وهَدْمها؟ لعل هدمها يثقب مَخْـرجاً في جـدار، وعبثها قـد يُفضي الى ايجاد غـايات للوجـود، عن طـريق ظهـورات الجـمال، تُسبغ معنىً على ما كُنّا نراه بلا معنى، وتعطي قلباً ما كنا نُحسّه هاوية في عتمة، وتدحض نظريةَ عبثيّـة الوجـود كما تـدحض نظريـةَ عبثيّة الكتابة...

أم أننا نُعزّي أنفسنا بأوهام ولا تكون الكتابة، والفنّ كله، سـوى كما يقول كافكـا: «نسمة معـارة الى العدم»، أو كـما يعبّر ريلكـه: «نَفَس حول لا شيء»؟

هل أغرق بعد؟ أين ستوصلينني أيتها الالفاظ؟

***

نتعمّد بالصمت وننمو في الثرثرة.

كم أحتاج إلى الندم لا على كل كلمة زائدة بل على كلّ كلمة.

***

في البداية أردتُ «خواتم» كلّها شذوراً، بلا ملاحظات طويلة. خالفتُ مراراً هذه النيّة لأسبابٍ ثلاثة: صعوبة الايجاز دائماً، طبيعةُ بعض الموضوعات «الخارجية» التي تقتحم عليك خلوة روحك وتسحبك من «الركن اللصيق» وتقذف بك في مهبّ الخطاب، وأخيراً الرغبة النزقة في مخالفة الذات عندما تصبح بدورها حدوداً لذاتها.

لن أدخل في شرحٍ للايجاز ولا في ذكر دوافعه. انه هنا، حيث أمكن حصوله، يترجّح ما بين اصطيادِ بَرْق الرأس، والسأمِ من التعبير، والوداع...

***

لأن هذه السطور ليست تقديماً لـ «خواتم» بل هي خواطر متممة لـ «خواتم» حول مصير الكلمة، وحول الكلام والصمت، ونهايات عصرٍ وعالمٍ وبداياتِ عصرٍ وعالم، فلأحاول الوصول الى آخر الطريق.

***

يتألّق العالِم، التكنولوجي، العدّاد، المنقّب، يتألق العقل الرياضيّ في بروده الساحق، جبروته المنتصر، ويدوسني.

كان لسلطانه أن يكون فتحاً حقاً لو أتم شموله فاستوعب قلبي، ولو لم يسخّر نفسه لطغيانٍ ماديّ وحيد العين، بنصف فهم ونصف سَمْع ونصف رأس.

يتألق ويدوسني أنا المتعامل بالتأمل، المصرِّف أفعال الحبّ من أول نظرة، أنا الشاعر الجوّانيّ، الملاكُ الماجن، الملاكُ الذي بتجدّد سقوطه تتجدد محبّة الله، أنا المجانيّ، الرغبويّ، المِتعَوي الهائم، الصوفيّ الشبق، الذاتيّ الهشّ، أنا المكوَّن من خيوطِ أحلام، المنسوج بتراثات الوجدان والخيال والنعومة والنوم والصلاة والحبّ ودموع الحنان والكفر واليأس والتمرّد.

يتألق الهُ النجاح الاستهلاكيّ ويدوسني. المجد لـه ما دام يـريده. لا أريـد ما يـريد. لم أنـازل أحداً قط، ولا أدخـل في أحـادّيـات ولا في ثنـائيات. فليـأخـذِ العـالم، أنـا لم آخـذ العـالم قبله لكي يكـون الآن غريمي. هو والعالم غريباي. كنتُ أظن الغرقى بحاجةٍ إليّ أنـا الطائـر فوق نهايتهم. وأرى اليوم أنهم لا يشعرون أنّهم غرقى، فـأي حاجـةٍ لهم إلى أمثالي ما داموا سيُنْقَذون بموتٍ آخر؟

لا أحد بحاجةٍ إليّ، وأنا الذي كان بحاجة إليّ لم أعُد بحاجة.

سيلتفت نصفي مع العالَم ونصفٌ لا يلتفت.

***

يتأزم الزمن فتصفو الكلمة.

يتأزم الزمن والكلمة فماذا يصفو؟

لنقلْ: الجوهر.

لنقل ذلك رغم ما يجول.

***

أَشعر بأنَّ أرثَ العجز هذا لم يكن لي. ألمٌ بي مذ انكسرتِ اللغة.

إلى متى أظـل محكومـاً أن أرى ولا أستطيـع أن أَمنـع مـا يحصـل ومـا سيحصل، وأن أقع في الفخ الخبيث وأنا الطيّب، وأن أسمع ولا أقدر أن أُغيّر المسموع؟

إرثُ الـرؤيا العـاجز، حكمُ الاحسـاس الملعون، ليسـا في أصـالتي. أصالتي الفعلُ تمامَ القول. وصمتي المـاضي، في تلك الأزمنة الالهيّـة، كان حَمْلاً بالروح أو استراحةً للجسد.

***

وما يدريني، والنسرُ المصفَّح، الوحش التجريديّ يسحقني؟ أيّ وقـعٍ

لي بَعْـدُ في شيء وقد خسـرتُ معاركي؟ أنـا وارث الكلمـة، الكلمـة الـذي كان في البـدء والكلمة الـذي صـار والكلمـة الـذي ثـار، من يُصدقني بَعْدُ وقد اندحرتْ كلمتي تحت سنابك باغضيها وجاهليها؟

***

في الرواية والمسرح يأخذ المؤلف لنفسه حقّ قتل أبـطاله، وكلّما أمـات أحداً منهم عاش معه تجربة الموت. ليس للشعر والأفكار، ولا لكتـابةٍ من نوع «خواتم»، أشخـاص يمكن التلاعب بمصـائرهم. يغيب هنـا موت الابطال ويحضر موت الكاتب نفسـه في بعض الجمل، في بعض التجارب خاصـةً. حتى لَأندهش أحيـاناً، بعـد كتابـةٍ معيّنة، لكـوني عدتُ واستأنفتُ الكتابة، وكأني عدتُ واستأنفتُ الحياة بعد موتي.

لعـلّ كلمة انتحـار تنـطبق أكـثر من كلمـة مـوت. تقـودني التجـارب بطريقة الانتحار لا بطريقة المغامـرة المسالمـة. التعبير عنهـا، كذلـك، أعيشه انتحارياً لا «أدبياً». له صفات المـرتمي في الخطر لا مـواصفات الناحت بحثاً عن وقعٍ «فنّي».

الكتابة هنا تغدو شهادة مجرّدة، ممارسة مجرّدة (أكثر ما تستطيعه بشريتي الـواعية) من التَمَسْرُح. تغـدو الكتابـة استماتـة تنبض في الحياة نبض المجـازفة، استشرافـاً للموت بـلا طقوس، ممـزوجـاً بـذَهَب البـدايـة وَوَحْلِ الأُمّ.

لا انتحـار الهارب بـل احتراق الفـراشة. ولكن أيضـاً انتحار الهـارب بلى. لا انفجار الصارخ في البريـة بل تـدمُّر الملتفت رغم أمر الآلهة. أموت متغلغلاً في سراديبي، مقطوعاً عن هواء العالم، مسموماً برطوبة خيـالي، حيث لم أعد أستـطيـع المفـارقـة دون أن أختنق. وأمـوت في كتابتي كما آخر يقول: أعيش. أموت من هذه العادات المعشوقـة، في كلّ يوم، وفي كل كلمة. وليت المـوت العام الـذي سيشملني بإهـانته ذات يوم يأتيني شبيهاً بميتاتي الأدبيّة، بارتماءاتي. لكان يكـون في ذلك

اعـادةُ حبّ للموت العـام، وبرهـانُ يقينٍ أنـه كـما اتحـدت الميتتـان، كذلك ستتوحّد الحياتان: الحلم والواقع.

ولكنْ هل من حاجة إلى برهانٍ على ذلـك؟ وهلِ نمـوت لنبرهن وهـل نعيش لنبرهن؟ لا بل لكي نلعب. البرهانُ كلامُ المحدود واللعب لغةُ اللانهاية.

***

لنستهـترْ، لنسلّم الأمر إلى الـطيش، هذا الـوجـه الـطفـوليّ للعنـايـة الالهيّة!

تدوسني قَدَمُ الرقم والآلة، تغرز في صدر الـروح؟ حسناً، فلتـواصل تقـدّمهـا حتى تقف لا من التعب بـل من نهايـة الـطريق. فـالـطريق سرعان ما تنتهي لمن ليس له ظلّ.

***

هل ماتت الكلمة؟

تُقْتَلُ الكلمة جسدُ الله بعد قَتْل الله روحاً وجسداً.

تُقْتَـلُ كثيراً، كـل يوم في كـلّ اللغات، تخمـةً في لغات «المتقـدّمـين» وجوعاً وفقـراً في لغات «المتخلّفـين». أدباً وكـلّ فن، تخاطبـاً عاديـاً، شكلاً ومحتوى.

تُصْلَبُ بحجّة التعميم وتُخْنَق بدعوى التقديس.

هل حلم أحدهم بجعل الجميع يكتبون شعراً؟ ربّما، لكنه كان يقصد غـير أن يَنْهش الجميـع جثّـة. كـان يقصـد أن يتشـارك الجميــع في صيرورتهم شعراء، في تحوّلهم إلى شعر. ومهما يكن قَصْدُه فإنه كان في اتجاه قَلْب الناس آلهةً، عصافـير، كواكب، لا في مَسْخهم دُمىً أشـد بلاهةً وببغاويّةً مما كانوا على مرّ العصور.

***

فلتمتِ الكلمة!

فليمت الشعر، الأدب، الفنّ، لتنقرض اللغة، ليضمحلّ الانسان الالهيّ لحساب البرنامج، ليبسط النسر الجديد جناحي ملكوته العملاق على الشرق والغرب، ليَزُل هذا الوهمُ إذا كان وهماً، ولا يُتْركْ بارقٌ غيرُ الحقّ.

الكلمة تكون بحاجة الحياة إليها لا بالشفقة. وتكون كلّها، وفوق الكلّ، أو لا تكون.

هذا هو الوقت الأمثل لامتحانها. ولن يربح شيئاً المنتصرُ عليها. هذا هو قصاص الانسان في قمّة مجده.

ونعمته وخلاصه في قاع يأسه.

***

لن يُدْخَل الى العالم، الى الطبيعة والكون، السلطةِ والعلاقات، الحياة والموت، لن يُدْخَلَ دخول الصلح لا دخول الفتح وحده، دخول العيد لا دخول الاغتصاب، الا بالمفاتيح السحريّة: مفتاح الهُيام، مفتاح ازالةِ الكسر بين الروح والعالم، مفتاح تغيير ظروف الحياة نحو السعادة والحريّة، مفتاح سحر القلب، مفتاح اعادة الحقّ والسلطة إلى الرغبة والمتعة والتأمل والخيال.

فلتكملِ الشجرة يَبْسَها. لتنتشرِ الصحراء. لتعمّ غابةُ الحديد والتجريد، ليرتفع طوفانُ الدمى، بحارُ اللاغَرَق، الغَرَقِ في ضخامة اللاشيء. فلتكملِ الشجرةُ يَبْسَها.

سأظل أحلم، مهما صحوتُ على كذب أحلامي، بشجرةٍ جديدة تنمو تحت نظر تلك، وتُدلّي إلى فمي اليائس رعشات ثمارها الرائعة المنقذة من اغلاقِ كتاب الحياة.

شجرة تَنْبت على الطريق الوحيدة الممكنة بعد، الممكنة دائماً، الممكنة وحدها، مهما تقلّب التاريخ: طريق الحبّ والشعر والحرّية. حيث البيوت أقمارٌ وشواطىء، وكلّها بيوتُنا. حيث كلُّ الخارج يعود وطناً داخليّاً.

حيث لا موت، للكلمة أو للعالم، إلا كان قيامة.

أ.ح

بيروت، آذار ١٩٩١

المناجم

الجنس يأتي معه بحبّه.

*

التعرّي لا العري.
تعرٍّ لا نهاية له.

*

عندما ألفظ كلمة «جنس» لا أُعطي التناسل إلا أقلّ حجمٍ من معاني الكلمة. وأغلب الأحيان أنساه تماماً.

*

الحياء مرغوبٌ دليلاً لارتكاب الخطيئة.

*

النوم مع الخيال أحلى من النوم مع الذاكرة.

*

ما من فَرْق بين الشعر والحب الاّ كون الأول
كلامَ الصمت والآخر فِعلَهُ.

*

صوتٌ حميم كالنشوة، وفيه عربدتُها ملجومة.

*

ما يجذبني ليس دائماً السهولة.
ولا الصعوبة.

بل صعوبة الوصول إلى السهولة المجانيـة، على شرط أن تكون صعوبة سريعة.

*

لا أُحبّ عري المرأة وهي غافية. أريدها حـاضرة لتعيه، لتؤهّله، ليجرفها، لتشرف على دُواره ودواري.

النـوم يُحيِّدهـا. يلغي «الموقف». ويجعـل مفاتنهـا حـرفـاً ميتاً، فائحاً برائحة الإهمال والحقيقة.

*

بعضهن تلفظهن النشوة الى شاطىء السرير كما يلفظ البحرُ سمكةً لتموت.

*

في التهتّك حسابات دقيقة جداً لا غنىً عنها وإلا انحرف وتشوّه.
تتبع الملذّات نظاماً خاصاً بها دقّتُه أشد صرامة ورهافة من دقة النظام الرهباني.

*

عندما يرميكِ الشَبَق بين أحضان جسدكِ يستنير محيّاكِ كملاك.

*

كل اللهب في هذه النظرة المتحجّرة.

*

أحد وجوه الشبه بين نشوة الذروة الجنسية ونشوة الموت، الكلام. هنا صرخة او همسة موجزة، وهناك أيضاً. لا حاجة للثرثرة ولا وقت. في الوضعين يهيمن المُطْلَق: في الأول تقودك اليه امرأة، وفي الآخر يقودك اليه ذلك

الذي كانت المرأة قناعاً له... له ولنقيضه...

*

... وهل يكون أنَّ مِن ألذّ ما في المرأة أن يملكها سواك، فتبرز قيمتها لك كمَشْهد، وكمُلْكٍ لآخر، أشهى ما فيه متعة سرقتها؟

*

كلّ امرأة هي ساحرة، بالشعوذة او بالخِلْقة، بشعة أو جميلة.

*

لماذا أتوب عن هذياني الجنسي وهو أكثر ما يعيدني إلى الفردوس؟

*

إذا أنتِ شبيهتي، فلكِ أيضاً ما ينقصني.

وإذا أنتِ نقيضي،

فأنا هو من له صفات نقيضه.

*

كل المطارح أدعى من السرير للمداعبة.

*

كلّما وجدتُني أمام مقال يبحث في الجنس أحسستُ بشعور من يرى خيانة تُرتكب أمام عينيه. وأسوأ أنواع هذا العدوان على الجنس، سواء في خيالنا وفي واقعنا، المقالات «التحررية» المكتوبة من زاوية اجتماعية - سياسية أو طبية - اجتماعية أو محض طبية، والاميركية منها على الأخص. دعواها التحرير ومؤداها الفعلي هو التقزيز.

بعضهم باسم الحرية (والعلم) يخدم الموت.

*

الممارسة الجنسيّة ليست مرحة في ذاتها ولا حزينة. انها أو هكذا يجب أن تكون: خطيرة.

انها استعداد للقفز في الفراغ الشيّق. وقوفٌ على طرف لسان الموت. كلّ نشوة هي عودة من الموت.

«تطبيع» الجنس - وهو شعار المجتمعات الغربية المتقدمة - قضاء على الخيال.

أي على الحريّة.

*

اللقاء يا سيدتي لا البقاء.

*

تَمامُ غُلْمَتُكِ همّتي وصفائي.

*

الشهوة تُحرّر أكثر من الحقّ.

*

سيبقى من «الاروتيسم»، بعد زوال شوائب عديدة، أنه الميـدان الأرحب لا للحريـة فحسب بل لمـا هـو أجمـل: انعدام المسؤولية.

*

مما أبحثُ عنه في الأدب الاروتيكي قلم امرأة (امرأة حقاً لا اسماً مستعاراً لـرجل) تكتب عن نفسهـا وعن الرجـل بدل أن يظل الرجل يكتب عنها وبلسانها.

امرأة لا تتوقف عند حدود الجرأتين الكتابية والاجتماعية، فهما أقل الجرآت شأناً، بل تتعداهما إلى الجرأة الوجدانية والنفسيّة والجنسيّة، فتصـوّر لنا أكـثر وأعمق مما اعتـدناه

من مشاعر وتجارب مللناها، فضلاً عن انها بالتأكيد ليست هي أهم ولا أجرأ ولا أعمق ولا أصدق المشاعر والتجارب.

قلم امرأة يقول ما لا يُقال، أيضاً، وفي اتجاه الرعشة الخلّابة الحارقة لا في اتجاه التقزيز والوقاحة الاستفزازية البشعة المعقّدة من الرجل، من أسخف ما في الرجُل، كما حصل في بعض الكتابات النسائية الغربيّة.

قلم امرأة ـ ولعل هذا أهم ما في الدعوة ـ يتيح لنا أن نرى في المرأة، جنسياً، وفي امرأة كل يوم لا في «المحترفة»، أنواعَ الهرب واللجوء، أنواع الانحلال والفساد، أنواع «الزعرنة»، الخيالية والواقعية، التي سئمنا مقاربتها عند المرأة من منظار الخيال الرَجُلي وبات من الطبيعي، وقد سارت المرأة على دروب الانعتاق، أن نراها تكتب خيالها واستيهامها، شهوتها وجنوحها، وأن تكتب لا لتجميل صورتها الرومنتيكية ولا لنسخ الموجود، انما لتدعنا نكتشف أنها ليست دون الرجل «ذهناً جنسياً» ولا دونه طاقات خيالية وإيغالاً واختراقاً.

قلم شهرزاد جديدة، ولا يخترعها رجل هذه المرة. ولا تحاول تقليد الرجال.

كي تُلهب خيال البشر وتبعث الشوق من رماد العصور.

*

المرأة لا تستطيع أن «تصبح» مثيرة.
تكون مثيرة أو لا تكون. الاجتهاد يُحسِّن لكنه لا يوجد ما ليس بموجود.
الفتنة سليقة.

*

اليد أعمق من الفم.

*

الوقت هو ما بين انلفاظ الشهوة وَتكوّنها من جديد.

*

تصرخ امرأة في وجه رجل:

«ـ جئني من غير صورتي المحنّطة! أَرجعْ حبك!
خذ فضيحتي بذهول، ببرود، واركع لفحشي! لستُ رهينة شهوتك، أنا أخلقُها! قَتَلْتُكَ وأنجبتُك، لا أنا زوجة ولا خطيبة، لا مرسومة ولا واضحة. أنا بلا اسم. ولن تُسمّيني إلا أخونك أَسْرَعَ وأمتع! ولا أنا

عارية ولا مكسوّة، ولا تعرفني! أيها الميت، أيها الحيوان الناقص، أَكَلْتَني وما بَلَغْتَ إليّ! أنا أبوك وأمك، أنا عدوّك، أُفرغك وأدوسك، أنا مُلْغيتك ومخترعتك، كلُّ طرف من اطرافي لُغَة، الجمادُ ليَ حلم، أنا زوجي وامرأتي ورقصي وموسيقاي، ولن أقع في خطاياك... لا أقتلك لأرث ما قتلك، بل لأتركك حيّاً في موتك... أستعملك كما لم تجرؤ أن تستعملني. أنا الكذب والخداع، أنا الموت، أنا الحليب وروح الحليب!...»

... تصرخ (أو تهمس) امرأة في وجه رجل... فيحبّها أكثر...

*

جدار الكلفة بيننا، ظهير وحدتي، هو ينبوع شوقي المتجدد الى اتحادٍ بكِ لا أريده أكثر من لقاءٍ هذيانيّ بين نجمتين متباعدتين، ثم يعود كلٌّ إلى مداره، وقد احترق حريقَ ابقاءِ جذوة الرغبة متوهجة.

*

قَهَرني ويقهرني أكثر فأكثر منظرُ جسد الانسان تُحوّله الحضارةُ أداة عمل.

واحدة من أهميات الفن هي أنه يذكّر الجسد بأنه

مخلوق، أصلاً، للمتعة لا للكدح.

*

عندما تقول لك، وهي تخرج من برودها بعد أن تكون أصغت إليك متظاهرة باللامبالاة، عندما تقول لك: «طفولتي كانت كطفولتك!» فكم من مسرّات العشق الاخوي أمامكما، العشق التوأمي، المرذول والشافي، العشق الذي يجعلنا نكتشف إخوةً لنا وأخوات حتى في اعدائنا، وفي غربائنا، العشق الأول، الأول، الأقرب ما يكون إلى دهشة الله الأولى بمن خَلَق!

*

بعض الفتيات الصغيرات تعوّضهن شهوةُ الإنجاب عن حرمانهن عضوَ الذَكَر.

بعض الرجال يعوّضهم التوليد الأدبي والفني عن نواقصَ عديدة بينها الفحولة الجنسية.

هناك ملء فراغ الذكورة بالخَلْق

وهنا أيضاً.

نَقْص الذكورة (بمعناها التقليدي) خلّاق.

فائضها مدمِّر.
العالم تنقصه أنوثة.

*

للصدق، خصوصاً عند من اعتدن التحفظ والكتمان أو التهرب، مفعولُ اغراءٍ جنسيّ.

وكلما تعاظمت صَدمتُه تعاظم ذلك المفعول.

*

أنتِ أجمل من العالم
لأنكِ تبتسمين تحت جفوني
تحتلين الحاضر
تكتشفين فيّ نوراً
ويمشي مصيري بين نظراتكِ
مشيَ الغيوم حول القمر.

*

ألذُّ ما في هذا الألم الذي تتحمّله منها هو أنك تستطيع ايقافه ساعة تريد.

*

الذكرى تُؤكل وكلّما أُكلتْ نَمَتْ وأشرقتْ.

❋

تحقدُ عليها لأنكَ تُحبّها.

❋

حذارِ نشدان الرغبة الدائمة دون اللذة. سنقع في صَنَميّة جديدة.

الرغبة المنشودة ليست فقط تلك الممكنة أحياناً على حساب الوصال وتحقيق المتعة، بل أيضاً وخصوصاً تلك المستمرة معهما، فيهما، بعدهما، ولأقلْ: ولو على رغمهما.

❋

منظر رجل يتوسل إلى حبيبته أن لا تتركه (لنتخيّله، مثلاً، عبر أغنية جاك بريل «لا تتركيني») هو في معظم الأحيان أجمل من منظره عندما يكون سعيداً في أوج امتلاكه ايّاها.

المرأة بالعكس: سحرها يشعّ في الانتصار ويخبو في الهزيمة.

❋

كلّ هذه الشروط لكي تقع في الحب. . . وأحيانـاً تتمنّى أن تصادف أيّ امرأة كانت لكي تحبّها!

شروطك مصنوعة على قياس الماضي، نجاحاته وفشلاتـه (أو عـلى قياس السينـما والروايـات) بينـما المستقبـل (أي الحـاضر) لا يعبأ. يفـاجئـك بمـا لم يكن في حسبـانـك. يبخعك. يطيّر أوراق شروطك، فتنساها في لحظة، تمحو ماضيك في لحظة، وتطلع شمس الحب جـديدة من وراء الحجارة السوداء، كأنها لم تهرم ولا أشرقتْ من قبل.

*

وَجْهُ طفولة على جسد انوثة. المعادلة مثيرة.
لكن الصدمة تكـون شديـدة عندمـا يكون الـوجه دليـل براءة فعلية، ويكون الجسد تابعاً مطيعاً للوجـه، منسجماً وإياه، غير موشَّح ولا بلون من ألوان المفارقة!

*

تَنـاقَلْنا بـالنـظرات نـار احـتراقنـا، مـاءَ ظلمات مـا قبـل الولادة، ونورَ أبديّتينا الذي يسطع في هـذه اللحظة التي تموت فور انبثاقها، سـطوع الخلاص، الخـلاص من كل شيء، من الحياة ومن الموت ومن رغبة الخلاص نفسها.

*

أَروعُ ما في حبّنا أننا اخترعناه.
ولم يعرفوا أنه حبّ، لأنه لا يشبه تقليدهم للحب.

*

لم أقرأ بعد مقارنة للغيرة بالارتجاف، مع أن شيئاً لا يرتجف مثلها. كيف يظل القلب صامداً معها، لا أعرف. إنها العاصفة والغصن الممزّق بالعاصفة. الكبرياء والمهانة. السلطة الجريح والعجز المتشظّي قهراً. وأشدّ ما يوجع فيها أنها (على رغم ادعائنا العكس) دليل تعلّق كبير، وفي لحظة برهانها على هذا التعلّق، وبسبب هذا البرهان، تُعرّض صاحبها للطعن والفشل على يد محبوبه.

*

من السمات المشتركة بين التجربة الشعرية والتجربة الجنسية انهما كلتاهما تغرزان بصماتٍ دامغة على لحظة لم تكن تريد أن يدمغها شيء!...

*

الخروج من الأمّ كالخروج من رحم المعشوقة، تمزُّق. انه تمزّق الانقسام.

لكنَّ ولوج رحم المعشوقة هو، أيضاً، تمزيق، في طـريقه إلى الوحدة.

وهكذا فإن التمزّق الذي صنع الانقسام هـو أيضاً يُعيـد الوحدة. . .

*

يمكن الحب أن يكـون واحداً من أمـرين متناقضـين: إما اتحـاد جنسين مختلفـين نزوعـاً إلى استعادة حـالة جنسيّـة موحدة سـابقة لـ «السقـوط»، للتمييز الجنسي بعـد انهيار الكـائن الواحـد وانشقاقـه ذَكَراً وأنثى ـ أو هيمنـة جنس على آخر بـدون أي نزوع اتحـادي بل بـالعكس، برغبـة واضحة في سيادة جنس على آخر، وزيـادة معالم التمييـز والاستغلال.

الحبّ دروب تؤدي إلى غـايتـين متعــاكستـين، واحــدة اتحادية عبر الجسد وأخرى استبدادية تُعمّق الانفصال.

أنـا مع الأولى، ولكني أيضـاً مـع الثـانيـة عنـدمـا تمنـح صاحبها انعتاقاً، عبر الهذيان والسيادة، يضعـه، من غير أن يشعر، على طريق الاتحاد الـذي لم يكن من مقاصـده الواعية.

لعل الفرق أن العاشقين في الحـالة الاولى يبلغـان الاتحاد

كرفيقين متناغمين، وفي الثانية يبلغانه كجلّاد وضحيّة.

*

قالت:

ـ عقلي لا يرحم إلا الزعران. وهو يضطهد الأوادم. لأن الأزعر آدمي وهو يتزعرن، ويكفيني أنه يعرّفني إلى ذاته، بينما الآدمي أناني لأنه يرفض أن أعرفه، أن يُعرّي نفسه، يخاف أن أملكه، وهذا هو الضعف عينه!

*

لبعضنا، الحبّ هو كمية الجهد الذي يبذله لتبشيع جمال امرأة يُعذّبه.

*

لا أرى غصن زيتون إلا في فمكِ،
وتحت خيال عينيك.
الطوفان هدّار والسفينة محطَّمة
لكنَّ الفجر هنا معجزة البساطة
في استعداد الحب العائم فوق الماء
غريقاً أكثر من الغَرَق
حمامةَ بدايةٍ فوق كلّ نهاية.

*

عندما ترجعين إليه بعد حين
ترجعين كالمجرم الذي يعود دائماً إلى مكان جريمته.

*

الخطر في أفلام البورنوغرافيا أنها معزولة. طبقة على حدة، مدموغة بعلامة العزل والحَجْر. (بصرف النظر عن التفاهة المميتة لسيناريوهاتها).

كان يمكن سينما البورنو أن تكون أهم اختراع للسينما لو لم تُدِرْ ظهرها للرغبة مفضلة رياضة المجامعة. لقد ألغتْ خيالنا وجَعَلَتْنا ننتظر الخباء ليستثيرنا.

هذه الافلام أجهضتْ سينما اروتيكية كان يمكن (وسوف يظل ممكناً) أن تكون أروع من الكتاب.

*

تحنين الرأس كي ترى الأرضُ وجهكِ فتعرف أنها ليست دائماً سطح الجحيم.

*

المرأة أجمل من الشعر ما دامت هي جامدة وهو يتأوه لها.

الشعر أجمل من المرأة ما دام هو امرأة جميلة جامدة وتلك تتأوه لرباطة جأشه.

*

تقول أسطورة اورفيوس إن النغم الساحر، الذي روّض الوحوش والعناصر وأسكر الحجارة وأسكت الجحيم، قد غلبه الحبّ.

لحظة من طغيان الحب كانت كافية لكسر سحر الفن، فعادت وحوش الشر تنطلق من عقالها.
الفن جمال. الحب ليس جمالاً.
الحبّ انتقام من الجمال عن طريق عبادته...

*

ألقيتِ عليّ نظركِ المفعم بالطيبة، ومن ارتفاع الرداء عن ركبتيكِ كان يصدر إليّ منكِ، أنتِ المحتشمة، نداء المجون الخطّاف.

*

«جنون الجسد»، يقول أفلاطون... ويدعو إلى قهر الجسد، إلى التقشّف والقداسة، لأجل أن يستشفّ الانسان مكامن الخير في ذاته. «إن الحكيم ـ يقول ـ هو

من يموت قبل الموت». وفي هذا الجو العابق بالجدّ والقسوة، يغدو الضحك محرّماً، لأنه غير خليق بالبشر ولا بالآلهة.

في بدايات المسيحية أيضاً الادانةُ نفسها للضحك على لسان سيبريانوس ويوحنا فم الذهب، حيث المزاح والضحك معدودان من الشيطان، لأن واجب المسيحي هو أن يحافظ على الجدّ والوقار والتوبة والتألم تكفيراً عن خطاياه.

على العكس، ابيكور: ما دام لا وجود للحق ولا للخير في ذاتهما، لا وجود إذن لأخلاق مُطْلَقَة، والدينُ لا يفرض علينا ما يجب فعله. لا تقشّف ولا قداسة. يجب اتباع طريق الجسد، وهو البحث عن اللذة وتحاشي الألم. إن هيكل الحكيم هو جسده، ولا يسكنه روح الله كما يعتقد أفلاطون، ولا تلهمه إلا «اللذة الالهية». وَبَدَلَ أن يهبط الخير على الانسان من فوق كأشعّة الشمس، يصعد إليه من تحت، مما يسمّيه أبيكور «البطن».

واستطراداً، لماذا الحرمان؟ وفيمَ العبوس والغمّ؟ إن الضحك، عند ديموقريط، هو لسان الحكمة، لأن كل شيء ذرات وفراغ ولا ما يستحق الجدّ.

ويقول ابيكور: «يجب أن نضحك ونحن نتفلسف». . .
. . . كلاهما، أفلاطون ـ المسيحيون وابيكور ـ ديموقريط، يفصلان ما يجب عدم فصله: الجد والمتعة.
أخذُ اللذة جدّياً. . .

لا جدّية الزهد بل جدّية التركيز، لا جدية جدران السجن بل جدّية كهرباء الانخطاف، لا جدّية قاهرة لذات صاحبها حتى الموت، بل جدّية الانطلاق عبْر كامل الحواس والدخيلاء، الى فضاء الحرّية الأوسع.
لا جدّية معقّمة، إذن، ولكنْ في المقابل لا استخفاف وسطحية يعكران صفو بلاغة المتعة.
قداسة الاستمتاع بَدَل قداسة الحرمان.
وأن يسكننا جسدُنا وروحُ الله فأي فرق عندئذ؟ وبلا مشاحنة بينهما، بل في تناغم هو نعيم الحريّة أخيراً بلا عقاب.

*

الحب أعمى، لذلك «يرى» ما لا يرى المبصرون.

*

أن لا تعود الرغبة شوقاً فقط بل قوّة تخلق في الآخر الشوق.

*

أَيهْا الحب، يَحْسُن أن تقول، أم: يا حبيبي؟
مع الاول تربح فكرةً وتخسر الشخص. مـع الثاني تـربح الشخص وتخسر الفكرة ثم تخسر الشخص.
لو نعيشه بدون وعي كلماته، هل يكون أكثر حباً؟

*

كلامكَ صدى صمتها.
حبُّها أجمل من حبّك.

*

«يجـددنا الحب من أشيـاء لا وجود لهـا، ويُميتنا من حيث يُحيينا».

*

... والمشـاركة تكـون أيضاً في الإخفـاء، وقمّةُ الاتحـاد بالآخر تكون احياناً في عدم مشاركته، ولا مشاركة أحـد على الاطلاق!

*

أَسعدُ بعفويتهـا لا لأنها تُحررني فحسب، بـل لأنها تقدم لي، مجسماً نابضـاً، منظر سعـادتها هي، سعـادتها بعيش

قَدَرها ملء العيش، نشوانة بجرأتها الصادقة، غير متعثرة ولا بإخفاق.

وعندما تستسلم الى ذاتها بذلك المزيج من التهذيب والفحش، من الغوى والخلاعة، تفعل كمن تلقّى أمر الالهام.

*

لعلّ أحد أسس الحب سوء تقدير كل طرف للطرف الآخر، بحيث يظنه أجمل منه وأكمل، مُنزَّهاً عما يُذلّه هو من حاجات وعادات دنيئة، وبحيث يظن الحصول عليه غنيمة الخادع من المخدوع.

*

واحدة تعطيك جسدها دون روحها لتحفظ روحها، وأخرى تعطيك روحها دون جسدها لتحفظ جسدها: أيّهما أكثر «فضيلة»؟

*

أَعبدُ إلَهك يا كائنة الإغراء، إلَه اللهو الغامر، ضدَّ كل ما يخيفني.

أعبدُ إلَهكِ لأنه طفلٌ مثلي، وغير واضح مثلكِ، وجائع مثلي، وطيّب مثلكِ.

أعبدُ إلهكِ لأنه ليس إلّه الحصاد والمؤونة والسيف والدرع، بل إلّه اللحظة الخالدة، الفانية.

أضيئي وظلّلي في رأسي أيتها الملكة الماجنة، احكمي قَدَري والعالم، أنتِ القَدَر وعالمي.
ولن أخرج من بابكِ إلّا الى قبر أمي.

*

الذي يُحبّ شيئاً (شخصاً) ممنوعاً، محرّماً، لا ينتهكه.
الذي يحتقره ينتهكه.
الحب يُقدّس.
الاحتقار يَفْتَح.

*

عندما أتأملك لا أُعرّيكِ بنظري، بل الأرجح أُلغّزكِ.
أكسوكِ بطقوسِ نظرٍ لا يَخْترق، بل يَخترع.
نظري يدُ خيالي.

*

يخنقني منظر شَعركِ كما تخنق الريح الصاخبة عصفوراً يريد أن يشرب كل الريح من فرط الهوى، والريح تضحك...

*

المرأة الضحيّة ـ المثيرة جنسيّاً في وقت واحد، لعلها أكثر من يولع الرجل، لأنها تحرك فيه الشفقة والرغبَة معاً:
الأولى تؤنسنه والأخرى تُحَيونه.
الأولى تقيّده والأخرى تفرج عنه.

وهكذا يصبح أداةً لهذه المرأة حيث هو موقن أنها جاريته.

*

مما يخلب العاشق في العشق موته، العاشق، كلما شدّه الجمال إليه، إلى النهاية.

وعندما يقوم من هذا الموت، تارة يزداد حبّه للمعشوق عرفاناً بالجميل، وطوراً يكرهه لأنه أعاده من الموت.

*

حلم اللقاء لا واقع العلاقة؟

لكن هذا لا يُعفي من التجسيد. حلم اللقاء ليس الهرب من اللقاء بل الانتصار على هلاك العلاقة.
كيف؟

بأن تغدو العلاقة حلماً واعياً، محققاً، عوض أن تكون مقبرة للحلم. أن تغدو سلسلة متلاحقة، متوثبة، من

الشهب والإثـارات والبروق والانخـطافـات، يفيق فيهـا العقـل من نشـوة لا لينهـار في الكـآبـة بـل ليمـر، بعـد استراحة الارهـاق، إلى نشوة لم يعـرف كيف دَهَمته وهـو بعد تحت تأثير السابقة.

إن هذا خرافيّ، تقول، لا وجود له في غير الرؤى.

وأقول لك إنه موجود في الواقـع، لمسَ اليد، وإن ايجـاده ليس هـو المشكلة ولم يكن قط هـو المشكلة بـل المشكلة إدامته.

والخيـال وحـده، هنـا وهنـاك، منـك وإليـك، يعيّش، ينقذ، يديم، وينتصر.

*

لا تعتـبريها تـدنيساً لجسـدكِ، بـل خـذيهـا كمُسـارّة. لا تكوني شهيدة، بل مكتشفة.

*

يحمينا سرّنا كما تحمي فقيراً مزعومـاً معرفتُـه بأنـه مَلِك، وهـو وحده يعـرف أنه ملك، يمشي في المـدينة السـاخـرة متخفياً بعباءة سرّه، أقوى من المدينة، مسلحاً بفقره ضد صيبة عينها.

*

لا أجمل من الاستجابة الفورية، من التلبية حالاً، غير عكسهما... للأولى طعمُ نفاد صبري الذي يسود زمان أيامي، وللأخرى نكهة الصبر الذي يسود ويقود كل عوداتي.

وكما أن تلبيتكِ لو حصلتْ حالاً كانت ستكون صاعقة، كذلك الوصول إليكِ بعد انتظار هو صاعق، ولكنّ الفرق أن صاعقة الوصول الآخر تطلع من الأعماق، تضيء وتحرق بعد أن تنفجر، أشد وأطول عمراً مما تضيء وتحرق حين تنفجر...

*

... وما به الجديد؟ ولماذا أتظاهر باحتقاره كلما سئلتُ عنه؟ دائماً أقول إني مع الدائم والأبديّ لا مع الجديد. ما هذا الكذب؟ وهل هناك أروع من أَلَقِ الجديد حين يخطف النَفَس ويُطلق لحن السَفَر؟ وهل هناك مُنَسٍّ أقوى منه؟

طبعاً أشتهي لنفسي أن أكون أبدياً. هذا ضعفي وسخفي. ولكنْ يجب أن أعترف، بَدَل ذلك التدجيل المترصّن، وأقول: الجديد هو رسول الأبدي، الجديد هو نفحة روح الدائم. لا أبدي يُحَبّ ولا دائم يُهوى إلا الجديد المتجدد من الدائم والأبدي، ولا جديد يُمسك

قلبي غير ذاك الذي، من صوتكِ إلى جِلْدِكِ، يهتف في نفسي هتاف المفاجأة المخلّصة.

*

أليس أغرب ما في الأمر أن اللذة التي نُسميها جسديّة، وبعضنا يُنكر لأجلها أو بسببها كلّ دعوى الروح، ليست احساساً مادياً للجسد بل هي شعور غير محصور، غير محدود بمنطقة معيّنة من الجسد، انما هو يشمله ويتجاوزه؟

اللذة الجسدّية «روُحيَّة»، أجل، والمتعة الجنسية ليست مَحْض لحم ودم، اطلاقاً، بل هي برهان على ما يستعملها الملحدون الماديون للدلالة على بُطلانه: برهان على أن الجسد بداية لا نهاية، وأن الماديّ هو شكل الروحيّ، هو شكله فقط لا بديله ولا نقيضه.
اللذة برهانٌ دينيٌّ...

*

القرف من الجنس، من الجنس الآخر، هو الموقف «الطبيعي».

إلى أن تلتقي امرأة تُنسيك أنها كائن مثلك. تبهرك

فتنخطف بسحرٍ اثيري - رغبوي فائض عن حدود الوعي الناقد.

عندئذ تنتقل الرغبة من كونها مجانية مطلقة تُنفَّذ في أيّ امرأة ممكنة دون كثير اعتبار لهذه المرأة وأحياناً باحتقار وسخرية، أو بكراهيةَ - تنتقل لتصبح رغبة مصوّبة الى امرأة معيّنة، فريدة، تتصاعد نحوها الشهوة وتفيض عن إنائها لتغدو شهوة فائقة: حبّاً.

وهذا الانسحار قد يدوم. قد يدوم كثيراً أو قليلاً، حَسَب المرأة، وأنت، والظروف.

وإذا دام فإنّ حظ صاحبه يكاد يعادل عذابه (عذاب الغيرة والتملّك والنقص، عذاب ان تُحبَّ سواك...).

حظ البقاء مغمضاً عن القرف، مقمّطاً في قطن الوهم. وهْم الجمال المحصَّن، الدائم، المعصوم، الذي لا ينكسر ولا لحظة، كالجمود المطْلق.

*

هل من وجودٍ لتلك المرأة؟
بشيء جوهري من السليقة، وبكثير من الفن والصنعة تتقنها، من الغوى والانتباه، من الغموض والحذق، يُمكن أن توجَد وان ترعى ذاتها.

على أن يكون للرجل خَيالٌ أكبرُ من رأسه.

❋

من تحت الشوق ومن فوق الشهوة، من بين أمواج الضجر والقهر، من ثنايا التذكارات الموجعة، من طريق الكلام، الذي هو أيضاً جسدٌ من أجسادنا،

من أعماق بيروت التي ليس أعمق منها غيرُ مزيج ملائكيتكِ ومجونك،

من شمس صدري التي تبيت في بحر عينيكِ،

من صدى عفويّتكِ اللعوب،

من شياطين الليل الهادىء، المريب، الهادىء،

أمدّ يدي إلى الظلّ هناك

ويكون صباحُ الهواء الأول

في الأرض الأولى والأخيرة...

أيتها الهاربة المقبلة، اليقين والضبابة،

مَضاء الذكاء وانحلالية الهناء،

من صميم تهذيبك اللطيف

لتدفقْ نشوتكِ الصامتة

وكقطيعٍ من الذئاب تفترس ذاتها.

فما أجملَ العروس في أحضان ذاتها...

«القديمُ جدّاً
الجديدُ جدّاً»

لم أجد الله كما وجدته حين لم أَعد أحتمل أفكاري .

❋

المعرِّف معترِف .

❋

يَرى الغائبُ ما لا يَرى الشاهد .

❋

في البدء كان الانسان يلهو.
القوّة الأقوى تضايقتْ من لهوه عندما تجاوز الحدود فعاقَبَتْه .

ربما لأنّ القوة الأقوى تريد اللهو اللامحدود من

صلاحياتها وحدها. اللهو بالخَلْق، بالموت، بما لا نعـرف بعد.

اللهو المجنون من صفات الألوهة.

والفنُّ لهو.

الفنّان، في لحظة الخَلْق، فلْذُة إله.

*

سأسكت وأنا أموت لكنَّ وجهي سيظلّ يسأل: لماذا؟

*

الشرّ قوّته في يأسه.

في نشوة يأسه.

*

أيتها الوردة الحمراء ذات القلب الأبيض كالموت.

*

ذَنْبُ أوديب البريء أنه كان سعيداً.

*

أنْ أكذب عليكَ لأُنقذك.

بناءُ خلاصٍ رائعٍ على الكذب.

*

بحيرةُ الظلمات تُحبّ ذويها.

*

انتابني احساسُ الـذنْب بشكل حـاد جداً خِلْتُ معـه أنّ روح الشخص الـذي عصف بي النـدم حيـالـه قـد تقمّصتني.
كأنْ لتشكرني على هذا الندم...

*

لم أسمع أسخف من عبارة: «... وهـذا الزمن لم يعـد زمن معجزات».

لم تحصل معجزات كما حصلتْ في هذا الزمن.
«اطلبوا تجدوا».
المشكلة في الطالب لا في المعجزة.

*

إذا فقـدتُ الأمـل، اذا استسلمتُ، فلن يكـون لأنَّ مـا اؤمن به مستحيل التحقيق، إنما لأن التعب تمكّن مني.

مـرّات يتعب المـرء وينـام. وخَلْف الشجـرة التي يتكىء عليها نومُه تبدأ أحلامُه تتحقّق في غفلةٍ منه.
لتكون له مفاجأة بعد أن يفيق.

❋

أريدكَ يا الهي دائماً مثل هذه الأُمّ...

❋

نتكلم، أتكلم عن الاتحاد، الذوبان...

مهلاً... لنلجم هذه الحقيقة قبل أن تصبح ببغاء.
لنبحث فيها، لنجادلها، فبعد قليل ستعود إلى ديارها.
الاتحاد يُفقد التوازن، يصهر العنـاصر فتعود إلى الغمـر، فوضى وعماء فـاغراً فـاه. هوّة من التشـابكات المـدمَّرة، تـدخّن جوانبهـا ورؤوسها بُخـارَ النهايـة. كـومـة عـظام وجماجم...

فلنغنِّ الانفصـال! الابتعاد والمسـافة! الهجـر والـطلاق! استقلال كل واحد سابحاً في هوائه... ليعود يتدفق بين الجميع ماءُ العلاقة!

❋

اثنـان يُفرغـانك من كـلّ كلمة: العَـدَم، والوجـود حتى الامتلاء.

❋

يختار بعضهم طريق الكآبة ليعتاد سَلَفاً فكرة الموت.

❋

يَكْفرون من بشاعة أصوات المرنِّمين.

❋

المعجزة، التي هي ترجمة للقوة الخـارقة للمشيئـة الإلّهية، هي في الوقت ذاته دليل الى الوهية الانسان. هـل كانت المشيئة الإلّهية تصنع عجائبهـا أمام الإنسـان ومن أجله، لو لم تعتقد أنه يستحق عناء صنعهـا؟ وهل كـان يستحق عناء صنعها لو لم يكن يشغل البـال الإلّهي الى حدّ جعله ينتهك النظام الطبيعي باجتراحه معجزة لإقناع الانسان، أو لإعطائه شهادة على حبه له؟

ولماذا يهجس الله بإقناع الانسان واستـمالته لـو لم يكن في الإنسان بعض الله، مما لا يريده الله أن يضيع؟

المعجزة، يقول العلماء «العقلانيون»، وَهْم، دليل طفولة وبدائية.

المعجـزة، يقول الـطفل البـدائي الذي في نفسي، دليـل وشائج قرباي للّه.

انها صـوته عنـدما يصـل من أعماق نـدائه الصـامت إلى سمعي الذي فَقَد نعمة الإصغاء.

*

حتّى لكأنها نهاية العالم.
كل ما أُحبّ، يخسر.
بكل ما أؤمن، تفتك الأنياب.
الجريمة، الرعب، البشاعة، تزحف، تنقضّ وتحتلّ.
حتى لكأنها نهاية العالم.
وما أن ألمح أملاً حتى تمحوه العواصف.
ولا أعرف، حقّاً لا أعرف لماذا أكتب.
لم يعد هناك قيمة إلاّ لشيء في حجم المعجزة الكبرى.

*

تتـوهّـج الحيـاة في بعض الحـالات، وأكثف مـا يكـون التوهج، عند نسيانها...

*

في الفاصل ما بين الفعل الخائب والبَركة، يَحْكم، ببروده

الخبيث، ملاكُ الحياد النزيه البغيض.

*

نموت على أمل العلم بما لم نَعْلَمْ ونحن أحياء.
وَعْدٌ آخر نحكيه لأنفسنا كي ننام.

*

كان في البدء الكلمة أم النظرة؟
لعلّ بلاغ العين هو الأول.
وهو الأخير.

*

رفضتُ عالم الخطايا من أجل تحقيق عالم النعمة والحرّية، من أجل النعيم.

وإذا بالزمان الحديث يُحلّ الجريمة محل الخطيئة.
بين الاثنين، أختارُ عالم الخطيئة.

حيث العلاقة هي مع اللّه لا مع كائنات منحطّة، وحيث أتمرد على الخالق لا على عبيد متسلّطين.

*

الجريمة سِلْكٌ كالرهبنة. ولها عفّتها وصوفيتها. وكلما

أوغـل المجرم في سلكـه ازداد ترقِّيـاً في المقـام. والمجـرم الكبير زاهدٌ بما ليس جريمة كما هو القدّيس زاهد بما ليس اللّه.

إلاّ أن كـلاًّ منهما يبقى «معـزولاً» في ركنه، عـدواً لـدوداً للآخر، حتى يُـطلّ «الجنس الثالث» الـزاعم انتسابـه إلى كليهما معاً: «المؤمن» القاتل باسم الله. . .

حينئذ يبدو كأنه صَهَرهما في بـوتقته، مـلاكَ طهارة وأمـيرَ انتقام.

وقـد تنـطلي الصـورة عـلى بعضهم، فتجعلهم يكفـرون بـالقداسـة تـوصـل الى القتـل، وبـالاجـرام يفقـد آخـر شفاعاته وهو «الشيطانية».

لكنها صورة مضلّلة.

فلا القداسة متقشّفة إلى حدّ النشاف الـذي هو ضحـالة روحية وعقلية أي نقيض الإقـامة مـع اللّه، ولا الإجرام أحمق الى حد ارتكاب خطيئة العبوس المكفهرّ الـذي ينبّه الضحية عن بُعد بعيد فتنجو بريشها. . .

مجــرمـو اللّه، في أي زمن وإلى أيّ إلّــهٍ انتسبــوا، هم طارئون على فنِّي الإجرام والقداسة معاً.

فكلاهما فن، وأمّا الإجرام باسم اللّه فَزعْبَرة على كليهما.

❋

الصلاةُ تسقي اللّه كما يسقي الحبُّ المرأة.

*

في المعجزة تَسْمعُ الكلام مع أنه لا يُسْمَع.
في الحبّ أيضاً.
الشفافية سحرُ مَن لا يعرف السحر.

*

أَفْضَلُ ما في الشيطان انه، على عكس أهل التعصّب، لا يدّعي امتلاك الحقيقة!

*

الأيادي واحدة: يَدُ الانقاذ.

*

شُكرانك لأنّك تُوهّجني بأكثر ما فيّ من نور
وتريدني أن أظلّ أمشي حتى أختفي في وهجي.

*

عندما أحلم بخير له قـوّةُ الشرّ وأنيابه، ربّما أكـون تحت تأثير الشرّ الذي فيّ.
شرّ فاشل، مهزوم، محسود من شر مظفَّر، ناجز، ويظن

نفسه خيراً يحلم بسرقة قوّة الشر موّقتاً لدحره.
خوفي هو أن الخير لا يَقْبَل سلاحاً من أسلحة الشر ولو لينتصرِ عليه.

*

نوبة طهارة ونوبة خطيئة. سرير واحد للروح القدس والشيطان. والرفاق بات يصعب عليهم السير مع هذا المحيِّر.
الثابت علىَ جهة، سعيد... ناقص؟ وسعيد.
الكمال هو في جمع الضدين؟ الكمال شقيّ.
لأن لا أحد من الجبارين يريد توحيديّته: لا السماء ولا الجحيم.
فقد حكم عليه كلاهما بالانقسام وكلّما أراد استرجاع وحدته استمطر على نفسه غضب الجبّارين.
لا يمكن جمعهما إلا في غيابهما عن الوعي... أو في غيابه هو عن وعيهما.

*

«القدمان ثقيلتان لا تتحملهما الأرض والكتفان كليلتان لا تحتملان السماء».

*

إنْ لم أُصلِّ، هل تعاقبني؟

إني مُتْعَب الليلة، والصلاة تُنهكني.
مُتْعَب من الهدر، وتعبي نفسه خطيئة. ولكني أسألك مع هذا أن تسامحني إذا نمت ولم أكمل صلاتي.
وأن تستجيبني عن ظهر قلب.

*

شمسكَ الليليّة تُخفي أرضي وتُظهر سمائي.

*

سوء التفاهم يرافق كل نَفَس، كِل عمل؟
الله خلق الانسان وسرعان ما ندم وقال: ما هكذا كان المقصود أن يصير...
الرجل يُغرم بالمرأة حتى الوَلَه، وتُبادله، وبعد حين يكتشف أن ما تخيَّله إنما هو، لأسفه وأحياناً لضغينته، غير الواقع.

والمرأة تنظر إلى حب الرجل لها، ولا تعتّم حتى تتأوه متحسّرة: «إنه يضيع في ما لا علاقة لي به».
والشاعر يرى، بعد الرحلة، أنها ما كانت تستحق.
والشعر يرى، ربما، أن الشعراء يجبرونه على ما لا يحبّه.
وفي السلطة، والمال، والمغامرة، الخ.
أتمنى أن نلتقي بَدَل أن نظل نتباعد. أتمنى أن نكذّب القواعد ذات يوم أيتها الأشياء!

*

قَـدَرُكَ المرسـوم على جباه الكواكب تنعكس صـورتُه في الوحل.
وبؤسـك المجبول بـالـوحـل ليس أَمجدَ منـه ضيـاءُ تلك النجوم في سماء تسحقك وتموت بَرْداً من غيابك.

*

رتّبْ له هذه المفارقة:
هو المدّعي ولهاً باعتاق الانسان، أجمـل مشهد للنـاس في نظره يبقى الركوع.

*

تعكس البرْكةُ زرقةَ السماء أَنقى مما يعكسها النهر.
اللّه في البرْكة مطمئنٌ وفي النهر منزعج.
الصَمَدُ يرتـاح في جمود الحـركة ويـراقبها بعيـون الغُدران والمستنقعات. . .

*

هل يستطيع الله أن يَبْطل إلهاً؟

*

أيها الحيوان المحبوس: ما أكبر كلامك، ما أروع وجهك

المطلّ من وراء القضبان، صورة لعَظَمتي، لسخافتي، لمجد الإلّه، ولترّهات الحرّية والعبودية وكل ما يسحقني ويُعتقني.

أيها الحيوان المحبوس، المكبوس بخلّ الكبت وزيت الخوف، مَعين اللون واللحن والأريج، ينبوع الكلمة، باب الوهم السعيد، أيها الحيوان المحبوس، يا ظلّي ودهليزي، أفتحُ لكَ فأنزل الى الجحيم المحرر أو أوصد عليك فأتخبط في جحيم الشوق إلى الجحيم.

تداعبك حين تشرد، ذكرياتُ ما قبل السجن، هبوبُ نسائم الرحاب الأرحب، الأرعب، الألعب. فتلوي بيدك الذهبيّة حديد قضيب، ثم تبكي عليه...
مَنْ وضعكَ هنا يا حيواني، فتقع مقسوماً تحت سيف فتنة الوجود!؟ مَنْ وضعك هو من حَسَدك. هو الغيور من حلفك مع اللّه.
أيها الحيوان الأسير، ذو الأجنحة الهائمة في ظلام الفضاء والقضاء والقَدَر، إذا خرجتَ يوماً من الرصد احملْ معك الزيت في عينيك والخلّ في دمك، لا تترك السجن تماماً فإن فيه بعض الحرّية.
فيه أيها الحبيب المقبل على عرسها، حرمانُ الحرّية الذي هو عمرها الأول فيك.

*

لو دامت الحياة لما كنّا: هذا هو سلاح الموت.

*

سُمّار الليل نحبّهم لا لأننا مغرمون بالليل بل لأنهم يحملون لنا الى بحر الظلام الخانق تطميناً من الضوء بأنه قليلاً ويأتي.

*

تَرقَّبْ دائماً ضربة القَدَر بعد كل انفراج ومسرَّة، ما دمت أيها الشقي لم تنتشل نفسك من براثن الفكر القائم على شريعة «التعويض»: كل فرحة سيقابلها غَمّ، شر هذا بخير ذاك... أو قاعدة لكل شيء ثمن.

لا، ولو كانت صحيحة القاعدة.

ارفضْها، بأسنانك، بآلام الأجيال كلها، ارفضْها.

قل لهذا المنطق الذي يدمّرك بكراهيته وعنصريته وبخله، ليس لشيء ثمن بل حبّ. وبقَدْر ما أُحب أنال، ودونما «تعويض» على مرابي الأبدية وأهل الجَلْد...

ترقَّب الصفعة ما دمتَ أيها الشقيّ الغبي، منذ ملايين السنين، لم تحطم الميزان الذي يشلُّك ويقتلك بِعَدْلِهِ المقيت.

*

نظرة واحدة، خطوتان، تكفي أحياناً لإعادة تجميع الذات المحطمَّة والمتناثرة شظايا تحت حوافر العالم وبين أشداقه.

*

كل المسألة مسألة تعامل مع الصمت.

*

نسيت أن تخبرني أن العدم أيضاً أبديّة.

*

تُلام الآلهة كيف تخترع الخطيئة وتعرِّض الإنسان الضعيف لحبائلها ثم تعاقبه على الوقوع...

تلك هي، باختصار، قصّة الإنسان مع الخير والشر، الجريمة والعقاب، السقوط والتكفير والكفر...

ولكن كيف نلوم الآلهة ونحن أيضاً نرتكب مع بعضنا البعض، ناهيك بأنفسنا ذاتها، اللعبة اللئيمة ذاتها؟

وإلا، فما الذي يفعله من يعلّم «تلامذته» أو «نساءه» تحطيم قيودهم، وعندما يفعلون، ويتمادون (ونادراً ما لا يتمادون، فالحرية دفق ويهجم، سلسلة وتكرّ...)

يستهـول، يتراجـع ويندم، خصـوصاً عنـدما يمـارسـون تحـررهم ذاك، من ضمن مـا يمـارسـون، عـلى حسـاب «سلطته» عليهم؟

ألا يقوم ذلك المعلم حينئذ، إذا استطاع، بمعـاقبة هؤلاء الذين كان هو نفسه سبب «جنوحهم»؟

الإله يُعاقِب بالموت. الإنسان يعاقب (ولداً إذا «الجانـح» ولـد، حبيبـة إذا امـرأة، شعبـاً إذا شعب، الـخ . . .) بالحرم، النكران، اللعنة، التبرؤ، أو ربما بالقتل.

كـلاهما يعـبّر عن ندمـه بتراجعـه عن أجمل خـطر يـراود العقل: الحرية.

الإنسان الذي أقام القيامة على الآلهـة لأنها حكمت عليه بالموت اقتصاصاً من استعماله الحـرية التي وهبتـه إياهـا، ليس بأفضل من الآلهة.

فهو أيضاً لا يزال، كلّما رأى ثمرة تحريضه الآخـرين على الحرية، يتراجع مذعوراً ويصيح: ما هكـذا كنت أتصوّر الأمر سيكون. . .

*

دائـماً حفرتُ قـبري بيـديّ. بحنيني وشغفي. ومـا زلت أحفر.

وكلما حفرتُ أَعمق وجدتُ سماءً أروع . . .

*

إذا كـانت هذه هي نهايـة العالم، أيّـاً يكن وأيّـاً كـانت، فماذا أفضل من صرفها بالحب ـ الحب بلا رجوع؟

إنه، مع شيء قليل أو كثير من البعـثرة والفوضى، أجمـل انتقام.
قد يكون الانتحار أقوى منـه انتقامـاً، إذا أردنا الانتقـام من نـوع الصفعة المـدوية. لكن الحيـاة ـ الموت حبـاً هو الجـواب الأشدّ عبثيّـة على رعب النهـاية، وهـو الجـواب الوحيد اللائق بنبل أوهام الانسان.

*

الخَلْق حب، والانخلاق حب، والقوة التي رَفَضَتْهما هي التي أوحت لكل منهما أن الآخر عدوّه.

*

أنتَ لا تشكّ في وجود الله بل في وجودك أنت.
ولا تجدّف عليه، بل على حظّك.
وبصيـاحك «الله مـات!» لا تعني أن الله مات بـل انك تستفزه، من قاع خـوفك البهيم، لكي يـبرهن لك عـلى

وجوده بأسطع ما يُنيم شكوكك.

أيها المزايد الممثل في حفل الولادة والحياة والموت، متى تجرؤ على الهدوء؟

*

أيتها الصلاة غَدونا وحدنا أنا وأنتِ، فما أكثرنا!...

*

سوادُ الليل موت صَلْدٌ وبياض النهار موتٌ شفّاف.

*

لو استطاع الانسان التخلّص من الندم على الماضي ومن الأمل بمستقبلٍ ما يلي الموت، هل كان يستغني عن فكرة الله؟

ربما ينتفي عندئذ الدافع الاناني للايمان، دافع الخوف، مثلاً. ولكنْ يبقى التعجب. فماذا أقول لعقلي أمام آية الكون، وأمام محدودية عقلي، وأمام خارق الجمال، وأمام سر المعجزة؟

العدم حقيقة حقاً: إنه فراغي أنا، عَدَمي الداخلي، حيث لم أشأ أو لم أعرف أن أمتلىء، أن أمتلىء بالنور،

بالظلام، بكل ما يملأ، بكل ما يُفرغ ويطحن ويلوّث ويطهّر، بكل هذه العوالم المحتشدة، بكل هذه التي قد تكون مجموعة فراغات، ولكن كل الحياة، حياة العصور كلّها، لا تكفي لاستهلاكها.

*

ومع ذلك لا أستطيع إلاّ أن أُعجب، أيضاً، بمن يُنكرك يا الهي. كأني آمل بأن تشتبكا أمامي... أو كأنه هو أنا الآخر، الذي ما زال، رغم الايمان، ينتظر السانحة ليعلن استقلاله المطلق ويستأصل كل مخاوفه.

وأمضي فأصل إلى النتيجة: اعجابي بثورة الملحد وتجديفه سببه حرّيته المطلقة، التي، في نكرانه التام للمسؤول الأكبر ولامبالاته الناجزة بالثواب والعقاب، بات يجني ثمارها دون أشواكها.

ومأساتي أني أريدك، يا الله، وأريدها، هذه الحرية.

إيمان ملعون...

*

عندما أسأل ذاتي، مقلداً القديس اغسطينوس، متى يا ربّ كنتُ بريئاً، لا أستطيع لجم نفسي عن سؤاله كذلك: ومتى كنتُ مذنباً؟

*

هناك لحظاتٌ من النعمـة تَسمع فيهـا الحجارةُ، وتبصر، وتتغير.

❋

اشراقُ فَجرِ النهاية.

❋

النور لا يُظهر بل يُخفي.

❋

«مهما يكن هذا المسكين عدوّي، فإني أشفق عليه عنـدما أراه بهـذا الانحناء تحت وطـأة مصيبـة. والحقيقـة أني لا أفكـر فيه بقَـدْر ما افكـر في نفسي. فواضـح أننا لسنـا، نحن جميعنـا الـذين يعيشـون هنـا، إلاّ مجـرد أطيـاف أو ظلال خفيفة». (سوفوكل).

❋

تـدور فيّ أيّها الكـون لأني ابنك، وتفعـل من خلالي لأني أسمعك، أيها الكلّ اللانهائي العيون والأصوات. وأراك وتنفتــح نفسي لـك لأنها لا تستــطيــع أن تنغلق عــلى مَصْدرها ولا أن تخنق نبضها ولا أن ترى بأم العين، أيها

الظاهر الخفيّ، وتدّعي أنها لا ترى. . .
لقد رميتني في الفراغ أيها الكل فوجدتُني في حضرة الوليمة العظمى.

*

عندما أتصوّف أهرب
وعندما أتبذّل أهرب.
أما من وقتٍ أواجه فيه ولا أَهرب؟
بلى، وقتَ أُقرّر أن أَهرب!

*

اللعب هو البراءة.
كل لعب.
ببلوغه المسافات الإلهية أو تلك الشيطانية.
اللهو نعمة.
والخسارة فيه كسبٌ للموت.

*

بعض الناس (هؤلاء، مثلاً) ليس الشيطان من يُغرر بهم
بل هم الذين يغررون بالشيطان!

*

الأساطير تُصوّر الشيطان ملاك التمرد.
قد يكون كذلك.
ولكني لا أتخيّله ديموقراطياً يتعايش مع متمردين آخرين.
أَتصوره متمرداً على المتمردين أيضاً.

الله، مهما اختلفت الرؤى حوله، يتمثل لنا بصورة شبه دائمة رمزاً للاستيعاب الأوسع، الأشمل. تستطيع أن تتمرد عليه وتنعم في الوقت ذاته بعفوه.

نتمرد على الله كما نتمرد على الأب. تستطيع أن تكون شيطاناً في كنف الله.

لا تستطيع أن تكون إلهيّاً، ملائكياً، قديساً، مع الشيطان. سيظل يلاحقك باغرائه حتى تصبح إما معه وإما عليه.

الله يلحظ سقوطي ويحتويه. انه معي حتى لو كنتُ ضده. الشيطان ناقص الحب، وحتى لو فَهمني فانه لا يُشعشع فهمَه بالغفران بل يستغلّه بعقله.

❋

صورة الله في كتابات بعض الانبياء هي صورة السلطان الذي كانوا يشتهون أن يكونوا.

❋

اللّه أول الدمع.

*

أكثر ما شعرتُ بصدق محدّثي عندما قال لي:
ـ لا تبكِ.
مع أنه كان يرى أني لا أبكي.

*

لا دموع إلاّ دموعُ الله فوقها.

حَوْلَ
طاولةِ الزمرّد

المرعب حين تكتشف، بعد عمر، أنّك كنت تعلّم الآخرين في أمور تجهلها.

❋

في جفاف العدل انتقامٌ من شعلة الظلم.

❋

أَفدح الشتائم تلك التي لا يعرف مُطْلِقُها أنك تستحقّها.

❋

لا تستطيع كلّ عين أن تميّز الخيط الذي يفصل المحبّة عن الانحطاط.

❋

نحب براءة الآخرين لأنها، أيضاً، تمنحنا شعورين: التفوق، وشهوة التدنيس.

*

إنهم على استعداد لتحريرك من الكبت شرط أن تخلّصهم من افراطك (من شعلتك): هذا هو معنى الحرية في المجتمعات الحديثة الأكثر تقدماً.

وما حاجتها الى القمع، بعد ذاك، عندما تعهد اليك بخصي ذاتك عبْر ابتذال الشيء الوحيد الذي كان يمكن أن ينقذك من الابتذال؟

*

لم أستطع أن أرى فرقاً جوهرياً بين العقل «الاخلاقي» والارهاب.

*

«الحرّية، هذه المُلْهمة الحديثة»، يسمّيها ملارميه.
وكما مصير كثير من الأشياء الحديثة أن تبوخ، أن تُستبدل، هل تزول الحرّية، ولا لاندحارها امام الطغيان، بل لسأمنا منها!؟

*

فاض بغضُهُ كهزّة الجماع.

*

يذوبون من رقّة الكذب.

*

المنفلت فيّ يكره منظر المنفلتين والمستبدُّ يكره منظر المستبدّين.

*

لا تُمتّعُهُ أموالُه بل مشهدُ فقرك.

*

لسواي موّه حَسَدَكَ بغضبة الحقّ.

*

ما قام حقّ (ولا باطل) إلا بدرجة (على الأقل) من درجات الارهاب.

*

الشفافية الملغومة هي أيضاً شفافية.

*

«موحشٌ وعاديّ كغابةٍ بلا وحوش».

*

اعتدْ عاداتك تُجْهزْ عليها.

*

هنالك حالات تكون الانانية فيها تضحية من أجل الآخرين.

*

كلّما ازدادتْ حرّيتهم خَفَّ وزنُهم.

*

لا تجدْ عذراً لجبنكَ في جُبني.

*

نتغرغر بأناشيد الحرية... وكل ما نفعل يستعبدنا بألف انتهاء ووثاق، بألف تَبَعيّة والتزام، من التبغ إلى الخمر إلى المخدّر إلى الكتاب إلى العلاقة إلى الأكل إلى الجنس إلى الطرب إلى الدواء إلى الكلام إلى القمار إلى الجريمة... إلى التحرر.

*

ليس بأَولِّ من حُطّم عندما توقّف عن التحطيم.

*

يَغتصبُ عداوةً معكَ لانه لم يجد حبّاً أقوى منها يُدفِىء قلبه.

*

تجاهلِ الوقت تربحْه.
راقبه، امشِ معه، تضيّعه.
لكي تتأكد، انظر الى ساعتك.
انظرْ بعد...

*

المراهق يبكي على الطفل الذي كانه ومن الرجل الذي سيصيره.

*

لستُ معجباً بجنون المجنون. فهو يُذعرني أو يتعبني. لكني معجب باستهتار المجانين حيال آراء الآخرين فيهم. ففي عدم اخذهم عقل الآخرين بالاعتبار عبرةٌ لمن أراد تجاوز الواقع اليومي ـ واقع الاستقالة من الحياة

ـ إلى واقع البحث عن الذات، الى الواقع الحي، واقع ما بعد الدخول من الماء، من الهواء، من النار، من المرآة. . .

*

الرشْدُ أَسْرُ الخيال ولكنه أَسْرٌ يستغيث بسجينه.

*

حرّرْ سجنك تساعدني في تحرير سجوني.

*

تتحدث عن عطائك. . . تساءلْ: لماذا لا تعرف طعم الفرح، الفرح المقيم ولو قليلاً؟

أليس لانك ضنين بنفسك، تأخذ حين تظن أنك تعطي، وعطاؤك الصغير والمحسوب، تظنّه أنتَ كبيراً وبلا حساب؟
تتحدث عن العطاء،
تقصد عطاءهم لك.

في نظرك، أيها الحريص العديم الحب، قبولكَ هو العطاء.

*

ما أكره من يـراقب حاضره في ضـوء غده! وكم أكـرهُني عندما أَصطدم في نفسي بهذا الكائن! وكم هو قـويّ، لا تهـزمـه الا الغيبـوبـات الكـبرى: الشعـر، الحب، الانخطاف او الارتماء. . .

اللاشعر هو كلّ ما ليس سخاوة.

*

عندما نقول فخورين بعـد نجاتنـا من مأسـاة أو حرب: «. . . لكن الحياة تستمر»، نقصد أن الحياة تستمـر لنا، نحن الباقين على قيدها.

نشيـد للحياة هـو في الواقـع تخـلٍّ عمّن رحلوا واغتبـاط بكوننا نجونا حيث وقعوا.

*

نجترّ التجديد ونجترّ التقليد.

نجتـرّ الدهشـات البائسـة والالتماعـات القشريّـة ونجـترّ الرمادي والمنطفىء والذليل.

نجـترّ أمجادنـا ونجتر احقـادنا، ومـا أحقر هـذه وما أتفـه تلك!

*

تخطّي الذات يشابه أحياناً التنكّر للذات. الفرق في الرجُل، على كلّ حال.

*

ليس ما تقول هو ما أرفض بل أنتَ.
كلامكَ ضحيّتك.

*

لا أستطيع أن أمنع الناس من أن يُشهروا ألقابهم بعضهم على بعض. انهم يموتون من أجل اللقب. ولكني لم اصادف انساناً جوهرياً إلاّ كان يخجل حتى باسمه العاري من كل لقب وكل صفة.

وكلما ازدادت أهمية الانسان الجوهري ازداد حياؤه باسمه (بل بوجوده)، حتى يكاد أن لا يلفظه إلا همساً.

*

ذَهَب المسيح إلى الطرف الأخير من القوّة: إلى أقصى الضعف.
فقد لا يفلّ حديد القوة إلاّ حديد الضعف الأقصى، المقصود، المتعمَّد، النازع في النهاية سلاح القوّة.
لكنه ضعف لا يقدر عليه إلاّ الاقوياء.

. . . وهكذا نعود إلى البداية.

القوة. . .

وهي أيضاً وَهْم.

*

بعض الضحايا يبتهلون الى اللّه أن يظلوا ضحايا، لأن ذلك أكبر انتقام لهم من جلّاديهم عندما يحتاج هؤلاء بدورهم أن يكونوا ضحايا!

*

لا يكفي أنه ضحيّة، بل إن كل جلّاديه كانوا غير الجلّادين المناسبين له. . .

*

التعلّق بالقيم الجماعية يمنحكَ طمأنينة الاخلاق التقليدية وضجرها.

الايمان بالقيم الفردية ينتشلك من رتابة الأولى ويوقعكَ في الفراغ. . .

*

. . . ومن اللطف ما خنق عبقرّية صاحبه!

*

الفَرْق بينَ الملل من الصادق والملل من الكذّاب أن الثاني يجعلني أندم على الابتعاد عن الأول.

*

تيهي عليك يأسٌ منكَ لا فخرٌ بذاتي.

*

بعد اشتعال الحلم تواضُعُ الطلب.
بعد تواضعِ الطلب ندامةُ الجبان.

*

الحياةُ ليست رتيبة. واليكَ الدليل:
رجلٌ يقتله السكْر
وآخر يقتله الهَمّ
رجلٌ يقتله الكبت
وآخر يقتله الوصال
رجلٌ يقتله الخوف
وآخر تقتله الشجاعة
رجلٌ يقتله البؤس
وآخر يقتله الطموح
رجلٌ يقتله اليأس
وآخر يقتله الانتظار

والذي قال إن الحياة رتيبة
قتله الانتحار
والذي قال إن الحياة ليست رتيبة
قتله الجنون
فكيف تكون الحياة رتيبة
وفيها كلٌّ هذا التنوّع
من ألوان الموت!؟

*

«هل مَن ينتبه إلى الجلال الذي في الوَهَن؟».

*

لا يُحتمل دويّ الدموع الصامتة!

*

ما ان تطمئن إليهم حتى يصيروا لكَ أعداء.

*

يحسب بعضهم أن البطش هو القدرة كما يظن آخرون أن الموجة هي الواقع.

*

الجاهل لا يرتبك.

*

كلماتٌ سكاكين، جملٌ شفرات، نقطع بها علاقة.
وكلماتٌ دروع نصدّ بها أمواج الآخرين، تحمينا من محبّتهم...

*

يدفع الفشل إلى الشر، والشرُّ الى النجاح...
لا تتأمل كثيراً في هذه الجملة.
ولا في عكسها.

*

«شمّام هوا قَطّاف ورد»؟
بل أَجملُها: شمّام ورد قطّاف هوا.

*

أَكرهُ نرجسيّة الآخر لانها، طبعاً، تعكر عليّ استمتاعي بنرجسيتي، ولكنْ أيضاً لأنها تُريني، خلال مشاهد الآخر، كم أنا مثله وأسوأ منه.

لا يُحبّ النرجسيّ من المرايا غير تلك المفردة، العازلة،

تعكس لـه صورتـه وحده ولا تـذّكره بـوشائـج أو روابط تنشّز عليه أنغام طقوس العبادة التي يقيمها لذاته في وتيرة رتيبـة، سقيمة، مضجـرة إلا في حالـة واحـدة: عنـدمـا يشرق من هذا الادمان نورٌ يغسل المتفرّج، فيصيبه غرامٌ بهذا النرجسي بَدَل أن يصاب بالغثيان.

أنه نورالشعر، في أي شيء كان.
لا تُحَبّ النـرجسيـة إلا في ثـــار الشعـراء لأن الآخـــرين يجدون نرجسيتهم فيها أجمل مما وجدوها في مراياهم.

*

يَعْلف أنانيته ليأكلها.

*

من يُصنّفك يقتلك.

*

ينتشي أيضاً من عجزه، ويرتعش كأنما بنسيم السعادة.

*

ليس ضائعاً في الكون الهائل بل في دماغه الصغير.

*

لا يعرف أحدٌ كم بلغتُ من العمر، مع أنه مذكور مراراً بوضوح. لكنَّ الوضوح لا يُصدَّق، مثل كل بداهة. والعمر الذي بلغتُه لم يؤلمني فيه أكثر من بشاعتين: البخل، والخيبة. كلاهما قاع الخَلّ. و، لِمَ لا؟ قاع الخِلّ أيضاً. إنهما صانعا شيخوخة الانسان، والأرجح موته.

*

تَحْسَبُ الآخر بخيلاً وتتناسى أنك شرٌّ منه. توهم النفس بأن بخلك غير منظور. لكنّ البخل يُقرأ في العينين، حين لا تبعثان بما وراءهما فيضاً بلا منّة. وهو يتمطّى في الكلام، عندما يخلو هذا من تهافت النشوة. تَفضحُ بخلَك قلّةُ ايمانك، قلّة كفرك، قلّة جنونك، قلّةُ عينيك ولياليك وضياعك.

لا تموت ولا تعيش. أنت الزمن المصمَّد في عفونته. ولا تحدثْني عن حبك، لا يمكن أن يكون لك مثلُ هذا، بل كيسٌ نتينٌ مترع بالشهوات المدَّخرة. ولا تطلب مني أن اقرأ لك ما تكتب إذا كنت ممن يكتبون، فلا يمكن أن يصدر منك غير الحَسَد والحيلة، والنقّ والمِراء، والضحالة والتمويه. من لا يُنفق ذاته، ماله، قواه، ماذا يستطيع أن يضع في كلامه؟

السخاء هو الخَلْق. لا أقول العطاء. العطاء صغير أمام

السخاء. أقول السخاء بل والافراط. لا هوادة في وَهْب الذات.

*

يقرّبنا المُخيّب من الشيخوخة كما يقرّبنا البخيل من الموت.
ولا يفيد القول: أنت الساذج انخدعت فذنبُك على جنبك. ولا يفيد القول: كل حماسة نهايتُها انقشاعٌ وهبوط. فليس الحق على الساذج ولا على المتحمس.
الحقّ هو دائماً على مَصْدر الخيبة. لأنه يجب لا محالة أن نصل إليه، ذلك الكائن الذي لا يُخيّب الأمل، إلهاً أكان أم رجلاً أم امرأة، وكتاباً، أُغنية، آلة، أم ادماناً آخر.
لي الحقّ بعدم الخيبة، وعليّ واجب السعي الى احقاق ذلك الحق. كما لي الحق ملء الحق بعيش الحياة ملء اللحظة، أُبدّدها الى اطراف اصابعها، يقارعني ناسٌ أَفْضَلُ مني، ناسُ السخاء الراحم الغافر، الذي لا حدود لاحتقاره المال والمُلْك والحرص والتمّلك، والذي لا حدود لرغبته في تفريح الآخرين.

السخاوة ودوام الحلم، كلاهما سحر أحلام الطفولة.
وهل تُعاش الحياة بسواه، هذا السحر، لسواه؟ للانسان كل الحق به، وما عداه جريمة تُغْتَفَر، لا ريب، لكنها

جريمة شديدة وربما لا يجب أن تُغتفر من أجل أن تتوب.

*

سلّمتُ لكَ بالحرية لأني لم أستطع تكوينك على ذوقي.
حرّية العجز عن الاستبداد.

*

بعض الرجال لا يغدو انسانياً إلّا عندما يمارس ظلمه.

*

الغبيّ أيضاً ظالم. الغبيّ خصوصاً.

*

معاصرونا هُم دائماً ثقلاء.

*

ذوو الفضائل يُخفونها.

*

أنا أضحك، أضحك من قلبي، ولكنيّ أكره الكوميديا.
كما أنيّ أكره منظر وجهي، ومنظر كل وجه، أثناء

الضحك. فيه نشاز واضطراب يعكّران صفاءً ما، ولو بدت عليهما مظاهر الفرح.

ومع ذلك أنا مع الضحك وضد الكوميديا. أقصد الكوميديا على المسرح.

كما أني مع الضحك وضد النكتة. خصوصاً النكتة الجنسية: أبشعها، ألزجُها على الإطلاق.

أكرهُ الكوميديا لأن ضحكها اتفاقي، ناتج من تركيبات استعراضية وظرفية اعتباطية. ضحكها اصطلاحي، تقليدي، أنا أمامه متفرج ظن نفسه أذكى مما يضحك منه وله. (هذا لا يمنعني من الضحك لهزليات ممثل موهوب. هنا أتجاوب مع هذيانه، لا مع مصطلحات خارجية. هنا جنوني يضحك لجنونه، ونخرج كلانا من المعادلة الاجتماعية العاقلة).

وأكره النكتة، كذلك، لأنها معلّبة، موجَّهة لتوليد «ضحك السهرات»، الأكثر سخافة. وأما النكتة الجنسية فلأنها، فوق ذلك، تُهرِّج في موضوع مقدَّس، مهيب ككل آية، هو الجنس.

حين أضحك فقليلاً ما أفعل من عتبة الشعور بالتفوق، وعندما يحصل ذلك أحتقر نفسي بعد الخلاص من نوبة الضحك. لأنه يكون ضحكاً مغروراً. منفوخاً ببلاهتي.

أكثر ضحكي تحريراً لي هو ضحكي من نفسي. إنـه ينبع من إحـاطتي ببؤسي ويأسي. وكـل ضحكي يأتي فجـأة، صدفة، ومن دون رشد.

*

أنا إثنان: واحد يسقط وآخر ينفصل عنه يقـرّعه، ينـوح عليه، أو يقهقه منه.
وأكون وحيداً وحيداً عندما يتّحد الاثنان.

*

الضحـك الـطفـلّي، الـذي لا يخـدش صفـاء الحلم بـل يجّنحه.
مثله مثل الشبق، الذي منه لا يشبه الخنزير بل الغزال.
هنـاك ضحك يـوقظ، كوخـز الابر. وشَبَق ينفّـر، لأنـه يشخر ولو صَمَت.
أجمـل الضحـك ليس ضحــك المتـواضــع فحسب بـل ضحك الخجول. فهو يعذر بخجله هذا الخلَلَ.

*

ابتسامة الآخر تُحبّكَ. ضحكته تحبه هو.
ابتسامة الآخر تضمّك. ضحكته تبقيك في جسدك.

*

الفرح حالة غامرة الى درجة الخشوع لا الضحك.
الفرح، كتوأمه الحزن، هو أكثر من يكره الحركة.

*

في الابتسامة أُمّ.

العددُ الذهبيّ

يــروح الشعــر يلغي نفســه كلمّا دنــا من حقيقته الأعمق.

*

التعبير خبرةٌ ناقصة.

*

هناك أيضاً عبقريةُ قراءةٍ، لا تَنْسَ.

*

أشعر أمام بعض الجُمَل أنه حرام أن تُكتب إلا وحدها، مفــردة، كبــيرة، تُعلَّق في الســماء، تغيب ثم تشرق في أعيادها.

*

رؤيا الشاعر لا تفصله عن العالم.
الشاعر هو في قلب العالم. رؤياه استيعاب وانقذاف إلى الأمام معاً، حيث تظن العين السطحية أنه ينسحب إلى يوتوبيا هامشية أو خرقاء، بينما هو في الواقع يبني، مختصراً في نفسه الزمن والكون، العالم «الواقعي» الوحيد الجدير بأن يكون منزلاً للانسان.

*

كل هزّة يُحْدثها الشاعر فيك هي تكوينُ انسانٍ جديد.

*

الشعر ليس شعوراً فحسب بل دوام شعوره فينا متلألئاً.

*

الجارح أنَّ الصمت لا يستطيع دائماً وحده التعبير عن الصمت.

*

لَفَّتْني ضبابةُ هذا اللحن حتّى أيقنتُ أن أحداً ما سيُحبّني لجماله عليّ.

*

مِن صغري كان أشد اعجابي يتجه نحو مؤلفي الموسيقى. وعندما تُلفظ أمامي كلمة «فنّان» أول ما أتخيّل هو الموسيقيّ، لا لأن الموسيقى تُحقق، وحدها بين الفنون، الدمج التام بين الشكل والمضمون، بل لأنها ذلك الصوت الساحر ومع ذلك الصامت... كل هذا الخطاب ولا كلمة...

أجمل الأصوات البشرية أقربها الى الموسيقى وأبعدها عن الكلام.

أجمل الشعر لا ما تضاءلت صلته بالكلام العادي فحسب بل ما اخترع لغته مستعيداً بها زمام الفعلِ بالسحر.

فيمَ هذا النفور من الكلام العادي؟ وهل الصعوبة غاية؟

لا، الغاية هي اعادة الفعل الى الكلمة.

وإن لم يعد اليها الفعل لا مفرّ للبشرية من الموت تلوّثاً بالكلام أو تسمماً واضمحلالاً من بلاهته.

*

سبب آخر لكره المقلّدين: تقليدهم جديدَ سواهم يجعله قديماً.

*

كم نتحدث عن الخَلْق نحن أرذل الهدّامين!

*

في بعض أسس الادب الحديث (والتصوير الحديث) ابتسامةُ سخريةٍ من الذات مع القول: «أَحسنُ مما عُمل لنَ نعمل، فلنلعب. . .».

*

الأغنية الشرقية تُسْكر مدمنيها بتكرار الفراغ إلى ما لا نهاية. فراغ يحمل اغماءات ذات طبيعة جنسية عاديّة، تروح وتجيء كالموجة.

تفضيلي ذهب ويذهب إلى أغنية (وشرقية) تُسْكرني لا بعدم قول شيء وترداده الى ما لا نهاية انما بقول كل شيء وترداده قليلاً جداً.

*

اسرقْ كل نَفْسك في كلمتك.

*

الهواء النقيّ يَهبّ من أقبية العقل الباطن.

*

كلّما هممتُ بكتابة فكرة جديدة كان ذلك معناه أني أَفترض العقل البشريّ، خلال الوف السنين الماضية، لم يتوصل إليها.

يُقال إن الخَلْق حلقة في تراث، ولو بصورة لاواعية. لماذا لا يُقال أيضاً إنه، حتى يكون، أحياناً، ينبثق من الادعاء أو الاحتقار أو الجهل؟

*

يموت الخلّاق إن لم يكن من جهل العالم له فمن علمه به.

*

لا شيء يضاهي الكتابات والقصائد السرّية، والملذّات السريّة، والعلاقات السرّية، غيرُ أحياناً ـ وعندما تُلبّى شروط معيّنة ـ الجرائم والكتابات والقصائد (القصائد بنسبة أقل) والملذات والعلاقات (العلاقات كالقصائد) العلنية.

متى؟

عندما تصبح العلنية هي الوجه الاشدّ فسقاً من السرّية، أي الأكثر شعرية.

أو ـ بالعكس، ولنتائج أشدّ جوهريةً ـ عندما تصبح تلك

العلنيـةُ القناع الحـاجب، عمداً أو بـلا وعي، للحقيقـة السرّية الكامنـة خَلْفها، تحتهـا، تتفاعـل وتُحوّل، تكتنـز وتُرسل اشاراتها.

*

الكلام اثباتُ الغياب.

*

أَشعر أحياناً أني أكتبُ من وراء الكتابة كصوت مَن ينطق مِن وراء الموت.

*

لا أفصل الشعور في الشعر عن الفكر. كما يحمل الجنس معه حبّه كذلك الشعور يحمل فكره.

*

هنالك كرامة، بل لاقل كبرياء، لا تغادر الخلّاق حتى في قعر انذلاله، ساعات القهر والعذاب.

وحتى في أسفـل أسافـل تهتكه ومبـاذلـه، ومهـما ذَرّاه الانحطاط.

قـد تكون كـبرياء الخـوف من نظرة الآخـر، أو نقصاً في

التواضع والصدق، لكنها لدى بعض النفوس جزء عضوي من تمردها، من طفولتها، من جمالها السابقِ عهدَ الشعور الأول بندامة الخطيئة.

*

أن يأخذ الكاتب على عاتقه مسؤولية الكلام، مسؤوليّة اللغة، هو أن يتولى المسؤولية عموماً، مسؤولية الحياة والعالم، الانسان والتاريخ. فالكلام هو الوجود.

من منّا نحن حملة الاقلام، كما نُسمّى في بلداننا العربية، يستطيع أن يقول إنه عاش حقاً على مستوى مسؤوليته؟

أن يعادل الكلام كرامة الانسان، على الأقل.

كم منّا في هذه اللغة العربية المعتقَلة يستطيع أن يقول: صنتُ لغتي ضد الكذب والتهّرب، حتى لو لم أكن عبقرياً؟

*

بعضُ الشعر: الخوفُ مصروخاً في وجهه.

*

عندما أطالع تحليلاً علمياً، نقداً، عرضاً لفكرة، يحصل معي غالباً عكس ما تمنيته من مطالعتها. فبَدَل أن آخذ منها، أنْقص...
ما ليس شعراً يُفقرُ دائماً.

*

الجهل خلّاق.

*

يحاول الأدب لا محاكاة الطبيعة بل تقليد العناق الجنسي.
أليس يطمح الى كتابة تُلهب القارىء، عبر تحسيسه بثنايا ذاته، وحرق دمه؟
أليس يطمح، بعد الغوص على عتمات الملاجىء الحميمة، إلى الصعود نحو انفجار الذروة؟

أليس هذا ما يحصل في العناق الجنسي؟
غير أن ما يقوله الرجل والمرأة في الخلوة الجنسية، إذا سرحا، هو أكثر صدقاً وحرّية مما يكتبه الأدب بلسانهما عن تلك اللحظات.
فالأدب إما يتجنّب أو يتواقح.
وفي الحالتين ينأى عن الحقيقة.
ولعله أشد ما يقترب من الخط البياني للعناق الجنسي

عندما يتحدث عن كل شيء آخر غير هذا العناق.

*

ينتظرك الشعر في موعد ما ليستعير صوتك.
لا تجعل تدخلك مؤذياً. ولا تدّع أكثر مما كُلّفت. بل ولا تدّع شيئاً.
... وأن تكون في مستوى ما يختارك...

*

كتابةٌ بلا عَرَق الزجل، ولا زَجَل العَرَق، ولا كذب الخطابة الكذّابة، ولا المؤثرات الصوتية، الخارجية منها والداخلية، للبلاغة والبراعة والفصاحة وبقيّة انواع الدهن والشحم والطلاء والعواء. كتابة بلا مَواكب غير جوهرها. بلا قرع طبول، ولا همس جفون السلّ الادبي المرتخي الاشبه بقالب حلوى يسيل دبقاً في وهج الشمس.

الكلام الجوهري، منظِّف الروح، مالىء الروح، مجترح معجزة الشفاء والقيامة.
وتبقى الكتابات الأخرى، جميلها وشنيعها، للراغب في مواصلة التمثيل.

*

كاد لا يكون شاعر أو فنان عظيم إلّا وهو على شيء قليل أو كثير من الاستبداد.

*

أكثر ما وجدتُ العَدَميّة هو في كتابات تدّعي الايجابية والبناء، مقدَّمةٍ بلغة جاهزة، خارجية، لغة هي العدم بذاته، وأنجح دعوة الى الموت زهداً ودَنقاً.

ليس فحوى الخطاب هو ما يحضّ على اليأس أو الحماسة، بل لغته أولاً. ولغة آداب كثيرة ـ آداب ما قبل العصور الحديثة خصوصاً، ولكنْ أيضاً آداب هذه العصور عندما تنقلب بدورها تقليدية ـ وأدب التعبير الكليشهوي في كل عصر، الادب المتوقَّع دائماً توقّع القافية في السجع، المعروف التراكيب والقفلات سلفاً، السابق الطعم، «القديم»، هذا الادب وتلك الآداب هي العدم وبوق العدم مهما احتفلت بالحياة وحَمَلتْ لواء القيم وبشّرت بالمستقبل السعيد.

*

أكره جوّ الزَجَل في الكتابة كما أكره البهجة «الاميركية» في فعل الحب.

كلا الجوّين تدنيس أو حماقة. كلاهما ابتذال لسِرٍّ

مقدَّس. كلاهما تعكيرٌ لصفـاء، شرط وصولـه الى غايتـه دوامُ صفائه حتى الغـاية، أي دوام الـرهبة المحيـطة به ـ رهبة لا تتعارض اطلاقاً وكلّ أنواع المجـون أو الانحدار سـواء خلال التفكـير والكتابـة أو ممارسـة الحب، لكنهـا تتعارض كليّاً وبرّانيةَ المَرَح وسطحانيّة البهجة «الاميركية» ومجاملات الزَجَليّة ومزايداتها.

جوهرّية الكتابة وجوهرية فعل الحبّ هما من التحـديق، من الـتركيز الـداخـلي، من الهجس، من التفـرّس، من الانخـطاف والمثول معـاً وإلى منتهـاهمـا، بحيث أن كـلّ انـدلاقٍ يجفّلهـما، يعـرّضهـما للتبعـثر والـزوال، ويُخـلي مكانهما، مكان نشوة الكيان القصوى واختلاجـة الخَلْق، لتسليـةٍ اجتـماعيـة ـ جنسيـة تـافهـة ولكتـابـةٍ من صنف عنتريات كأس العَرَق.

*

هناك نوع من القراءة بصوتٍ عالٍ للشعر أُحبّه: القراءة الطالعة من الاعماق. فهي آسرة بخَطَر لَحْظَتِها المقـطَّرة، عندما يتلوها صوتٌ صميميّ، لا يبـارح الصدقُ رنتَـه، طبيعي مهما توخّى التأثير، عميق الدمغة.

وبعدما كانت مع الصوت الفائش المفتعل الممثل، ممـوهّة

ومنفوخة، تغدو القراءةُ بصوتٍ عالٍ مناولةَ قربان، ألحاناً قَمَرية تُحمّم الحواس والجوارح.
وتغدو الكتابة معها صوتاً.
ترتدي الكتابةُ عندئذ لحمها ودمها وأعصابها.
تغادر أرض الورق، ريف الورق، لتنطلق في فضاء الجسد السامع، السميع، في فضاء الكون الحيّ.
تغدو الكتابة، وأنت تقرأها بصوتها العالي، قلباً يُنْبِضُ ما لم يكن يَنْبض.

تغدو ما يا ليتها تغدوه: تواليـاً للرغبة واللذة، فاللذةِ والرغبة، وتحاضناً بينهما، إلى ما لا توشكُ له نهاية.

*

لا أَفهم المقاطع المملّة عند الكبار، في الروائع.
وأي تبرير لها لا يُقنعني.
الإملال سيّئة أخلاقيّة.
مَن يُضجر هو مضجر ولو كان عبقريّاً.

*

ثمة موهوبون تتجوهر موهبتهم في كبت القمع كما يشتد بريق النجوم كلّما ادلهمّ الليل.

*

الصحافة بالنسبة إلى الأدب والفكر كالبورنوغرافيا بالنسبة إلى المتعة والجمال.

*

الكتابة هي دائماً فعلٌ تخريبيّ لأن الكاتب يكتب ليقلب القارىء ولكي ينتصر على عالمٍ يرفضه متخيّلاً على أنقاضه أو بعيداً منه عالماً يرضيه.

أليس هناك كتابة غير تخريبية؟ بلى، كتابات التقليد والنسخ. وطبعاً الكتابة القانعة، وتلك الواصفة للمظاهر، والسكونية المسبّحة بحمد الواقع والمفعول.

وشهود الزور ليسوا تخريبيين. انهم عمّال الأنظمة والسلاطين، عبيد الغباوة أو الجبانة. هؤلاء هم مزّينو السجون ومبتكرو المليّنات للضمائر.

الكاتب التخريبي لا يتقصّد أن يكون كاتباً تخريبياً. انه لقاء الفطرة ونداء الأشياء. فهذا هو دوره بمجرد أن يعبّر عن تجربته، عن فكره، بمجرد أن يفتح فمه.
انه قَدَر الضالين سواء السبيل المعبَّد للعبيد.

ومهما سالم الكاتب التخريبي سيظل «يصيب». ومهما سربله الحب سيظل يشعل الحرائق.

ومهما انحطّ سيظل أعلى من عصره ومن ناصحيه. ومهما

حورب واضطُهد سيظل هو الحرب الحقيقية التي لا تُخْمَد.

*

ليس التذكير بواجبهم ما يزعج الادباء، ليس هذا وحسب، بل قَبْلَه مجرد القول إنهم يخافون السلطان.
نريد أن نهرب، وأن نُسمّى منقذين!
وأن نخون، ونُعتبر ابطالاً!

*

كتاباتي الأولى لم تجد في حينها سوى أقليّة ضئيلة تحتملها. ثم مر عليها زمن فأصبحت مقبولة لدى عدد أكبر، هو نفسه سيكون في خصام مع كتاباتي الجديدة. ثم يقبلها بدورها ليرفض، في ما بعد، ما سيليها.

وغالباً تبيّن لي أن الادباء لا يهتمون لغير كتاباتهم هم، ولمن يحتفل بها وبهم، وأن معظم النقاد يعوزهم الاطلاع الشامل والمدقق على كل نتاج المؤلف، وملاحقة تطوره بالشغف الضروري، حتى اذا أرادوا الكتابة عنه كان ملفه كاملاً (نسبياً) بين أيديهم، فلا ينطلقون من معطيات ناقصة ولا يبنون أحكاماً مبرمة على مجتزآت.

كلنا يبحث في الآخر عن خيانة ليُسكت تبكيت ضميره. أو ليزيد في تلميع صورته أمام نفسه. والخيانة في بعض

آلم وجوهها هي هذه: الهرب من صدق الذات نحو تخوين الآخر.

لم أكن اعتبر نفسي ثورياً ولا صرت اعتبر نفسي غير ثوري. أكره تصنيفي وأَتفلّت منه. التهالك على صفة، أيّاً كانت، دليل انتهاء المتهالك على كل ما يجفّلني من مؤسسات وشعائر، من بُنىً وبيعات. وكنت ولا أزال أشعر أن من يُصنّفني (حتى لو كان اطراءً) لا ينصفني ولا ينصف الكلمة التي يُطْلقها عليّ.

ولولا بضعة استثناءات لكنت اليوم أكثر من الماضي أشعر لا أقول بظلم ـ فلست في وارد التشكي، ناهيك بأن الظلم يُقاوَم ـ بل بما هو أقسى: جهل المحبين.

*

في حميميّة بعض اللحظات وبساطتها من الأبديّة أكثر مما في الملاحم والاساطير. «أبديّة الغرفة»، لا تلك الأفقيّة. أبدية النظرة العابرة. اللمسة الحارقة. أبديّة دقّات القلب، الانفاس.

هذه اللحظات الذاهبة، فيها من المُطْلَق ما في المُطْلَق، وما لا يستعيده ألا خَيالُ الشعر، ويستعيده ربما أجمل، غير أنه بدون نعمة تلك الغشاوة. . .

*

ليس لشعرهم أصداء لأنه هو نفسه صدى.

*

نوع الذروة في الكتابة يكشف صاحبها بأفصح مما يكشفه مَصْل الحقيقة.

الذروة في الكتابة، كالذروة في الجنس أو الأورغاسم، هي قمة التصعيد وانفجاره. لها شبيه بَصَري على المسرح في التراجيديا تفضيلاً، وعند شكسبير على وجه أخص، وسمعي في الموسيقى الكلاسيكية، ولا سيما في مرحلة ما بعد «الباروك»، وبشكل أخص المرحلة الرومنتيكية.

في الطبيعة، تشبه تضافر روافد الماء حين تتصاعد من فوّار في الأرض منطلقة كالسهم أعلى ما يرفعها زخمها، ثم تهبط باسترخاء ما بعد الوصول. إلا أنها في الفوّار متواصلة لأن اندفاع الزخم من القاعدة هو اندفاع آلي متواصل ما تواصَلَ النبع أو الينابيع في التدفق.

على كل حال ليس جمال الذروة ولا مأسويتها ما يستوقفني الآن، بل اسفاف بعضها. ففي حين هي عند شاعر كبودلير بداية أكثر منها نهاية، أو بداية من نهاية وينفتح بعدها أفق عالم شاسع من الرؤى والمشاعر، وفي حين هي عند كاتب كالمركي دو ساد عناق النفس لأقصى

قوى الرغبة المحررة فيها، وفي حين هي عند مؤلف كبيتهوفن منتهى عناق الشغفين: الشغف بالحرية والشغف بالذات، أو شغف الانطلاق وشغف العزلة، وعند موزار، المسكون بحالة أثيرية مختمرة باكراً جداً كأنه عاشها في حياة سابقة، عند موزار هي قمة السرعة والشفافية، حتى ليغدو هو والمدى واحداً، وأنت المستمع تصبح روحاً تسبح في مداه يطهرك ويبريك إلى ما بعد البكاء...

في حين الذروة هي عند هؤلاء على سبيل المثال، شرفة على الحلم، أو المُطْلَق، أو الأبدي، نجدها عند بعضهم، وَهُمُ الأكثر، أشبه بانقباض يوميّ يليه انفراج يوازيه في السطحية، أو هي تشنج عصبي من نوع خطب الزعماء الغوغائيين التي تنتهي بواحدة من خاتمتين: إما الوعد بالجنة أو النذير بالجحيم.

وبعد تحمّل عيّنتين أو ثلاث من هذا النوع من الكلام يصبح في الامكان استباقه واستباق ذراه والمعرفة سلفاً بجو الكلمات التي سيقفل بها الكاتب شعره أو كلامه - جوها وأحياناً حجمها بل وعددها. كأنها لازمة تتكرر مع تغيير بعض الحروف فقط وتُمرض الذهن وتُضجر النفس وتعقّم الخيال.

ولكنْ ليس التكرار ما أكرهه في الذروة بل الضحالة.

فالذروة عند العبقري أيضاً تتكرر. بل هي تتشابه حتماً في النَفَس والإيقاع، ولكن الفرق أن التشابه هنا تشابه اسلوب في رفع الستار عن آفاق لا تشابه في ما بينها وإنما كل واحد منها غزو لمجهول، بينما التشابه في ذرى الأكثرية من المؤلفين هو تَشابُه أورغاسم الخنزير الذي اشتهى فتوتر فأفرغ، تاركاً معه التأليف في بحر من وحل الموت.

... ولكن المشكلة أن الذروة العظيمة، ذروة العباقرة في الكتابة والفن، هي نفسها تكاد تصبح مملة.

لفرط ما احتمينا بها من رداءة سواها لم تعد تدهشنا. صرنا بحاجة إلى جديد. والجديد الساري تافه، فاشل، مقيت.

أيها الجديد، اسطع! أيها الجديد الصاعق، المعشوق من أول نظرة، المتجدد كالخرافة، أيها الجديد يا الهنا القديم، أيها الجديد اظهر، اغسل الأشياء، بارك الألسن، اقلب المروج والبيادر، روِّ الحواس، اشحذ الدم والاعصاب بالكهرباء الشابة، ولّد الشرَر البكر، ادفع كرة الأرض لتهبّ من ركنها العفن، أيها الجديد الكاسر، الآسر، أهجم علينا!

ولنكتشف معك في أنفسنا، في جديد أنفسنا، تلك

الهدية العتيقة التي لا تفوقها ثروة: الأصالة!

*

ليست الغـاية التنـظير للصمت، بل لأهمّيـة أن لا يكون الخروج منه مادةً للندم عليه.

*

. . . ثمَّ رفقاً بالكلام.
هل أرحم منه، ومن اللغو والهذر وأيّ ضجيـج، عندمـا تهاجمكَ جحافل رأسك؟

*

الصلاة أرحم.
لكنِ الكلامُ أهى.

*

الواقعيّة استقالة من الخَلْق.

*

بلاغة الكتابة تلهيني عن مواجهة القَدَر ببلاغة وجهي.

*

أجمل حوريتين في الميثولوجيا الاغـريقية كـانتا «النشـوة»، ابنـة إله النسـغ والخمـر ديـونيـزوس، وابنـة «بـان» إلـه الطبيعة والخصب، وماذا كان اسمها؟ «الجهل».

*

الافـلام المستخرجـة من قصص الماركي دو سـاد تـافهـة و«غـير مؤذيـة» لا لضعفهـا الفني فحسب بـل لأنها لا تستطيع مواكبة أهم سلاح في العالم السادي: الكلام.
الكلمة عنده قاتلة أكثر من القتل.
الكلمـة لا كبلاغـة، بـل كحـديث يسرد ويحلل، يصف وينـظّر، قاذفـاً أسس المجتمع ومبـادئه وقيمـه بافتـك ما قُذفتْ به على مَرّ الكتُبُ والرؤى والكلام.

تؤدي بي هذه الفكرة الى اقتراحِ القول إن الكلمة القاتلة أكثر من القتل قد لا تكون الكلمـة «الشريرة» وحـدها، بـل كذلـك تلك «الخـيّرة» الغـرّاء، حـين تتبـطّن بعنف التمرد الجامح.

عـلى أنَّ هذا التمييـز بين «الكلمتـين» يضمحل بـالتقـاء مفهومهما التحريري. وهكذا تغدوان، تعودان واحدة.

*

اعجابي بذوي العبقـريات «المنتجـة» (شكسبير، هـوغو،

موزار، بلزاك، فاغنر. . .) فيه اغتراب عنهم وخوف منهم. . . اعجابي بمفرغي عبقرياتهم في الضياع، في العقم، (بالكسل، الكحول، المخدرات، النساء، الهرب. . .) فيه حبّ لهم، فَهْمٌ لهم، وفَهْمٌ، عَبْرهم وعَبْر نموذجهم التبذيري، لرسالةٍ ما عن حقيقة العلاقة التي يجب أن تقوم بين المبدع وعمله، بين المبدع (ما اكثر ادعاء هذه الكلمة!) وحياته والمحيطين به. . . ولرسالةٍ ما عن سخافة هذه العلاقة حين تغرق في جدِّية مظهرية، شكلانية، هي أقرب إلى الوجاهة، وإلى التركيز على «الانتاج» غزارةً ونفعاً مادياً واجتماعياً.

إن مبددي عبقرياتهم هم حاضرون في القلب، عَبْر آثارهم وعَبْر انهدامهم لا أدري أيّهما أكثر، أقوى من حضور اولئك، المنهمكين في «التأليف». . . حريقُ اللحظة لا جليدُ الأبديّة.

*

الغناء تَبَرُّجُ الشعر.

*

القصيدة قبل الغناء غابة عذراء وبعده أرض مأهولة. اللحن هو الكشّاف والصوت هو الرسول.

ومستحيلٌ تناغم العناصر الثلاثة ما لم يكن الثلاثة شعراء.

❋

التمييز بين العمق والتعميق.
الأول فوري، طبيعي، لا يخشى العفوية. الآخر مجتهد، مبني على المراقبة والحَفْر الدؤوب.
التعميق يحتاج إلى مسافة ليصنع ذاته. العمق هو ذاتهُ المسافة.

❋

ليس المهم كتابة «الحقيقة» وحسب بل ما اذا كانت الكتابة ستعقّم قارئها أم تُخصبه.

❋

كلُّ عبارةٍ خيانة.

❋

أكثرُ ما أُحبّ وأكره هي كلماتي المترائية على شاشات رأسي، وراء ستائر الجبين، أبعد من متناول الهمس نفسه، في مأمن قاهرٍ بين غابات الخيال المُغْلَق كالقبر الهادىء...

❋

هـذا الصراخ الصـامت! ليس أكـذب من اخـراجـه إلى «النور» (!) غير استثماره على الورق!

*

الشعر ليس كتابة إلا بصورة جـزئية، في الـوجه «الادبي» منه.

*

(هل نرهق الشعر بعدُ بمزيدٍ من التمنيات، وهو ما حفل يوماً بالمنظّرين ولا انبثق منهم بل انه ينبثق عليهم؟ ولكنْ بعض الكلام على الشعر كان وسيظل حلماً عن الحياة).

. . . ما أريده للشعـر هو أن يُغـيّر الأقدار لا أن يحـاكي ايقاع الحالات. أن يفعـل في القوى المجهـولة، الـطاغية والخـارقة، لا أن يضمحـل في الانفعال والتلقي. وهـذه السلْطة أطلبُهـا من السحـر في الشعـر لا من المـوهبـة وحدها ولا من أي عنصر بذاته على حدة، ولا طبعـاً من الخـطاب السيـاسي. والسحـر في الشعـر ليس الحيلة أو الـبراعـة ولا التمـويـه والشعـوذة، كـما أنـه ليس البيـان الخلّاب («وإنّ من البيان لسحراً»). وسحرُ الشعـر هو، سواء اتصل بـالروح القُـدُس أو بالشيـطان، نفوذ جمـاله الـروحيّ ـ الجنسيّ ـ الكونيّ. وكلّما تعـاظم هـذا النفـوذ

اشتدّت قدرة الشعر على التحويل والتغيير، بعد استعادة مفاتيح «العلوم» الضائعة واكتشاف المفاتيح المضيّعة.

ولا ينص سحرُ الشعر على لغةٍ واحدة، أو اسلوب معينٍ، وليس له، كما للأخويّات الباطنية، علامات يتعارف بها الاعضاء... فهو، بالعكس، يفتح احضانه لكل اللغات والاساليب، غامضة وناصعة، هرمسيّة ومنفتحة بل وسهلة، صوفية وملحدة، شرط أن تكون فيها «تلك اليد».

قد يكون في هذا المفهوم للشعر عَنَتٌ له. هذه حال الاحلام.

الشعر فعلُ ايمان الحياة وفعل وحدة الكون. (أراني مضطراً أن اوضح باستمرار أني لا أعني الكتابة الشعرية فحسب، بل الشعر، كروحٍ وجوّ وعالم، الموجود في كل شيء).

إنه ما قبل الانسان، وانه الانسان، وما وراءه وفوقه وبَعْدَه. هو خالق الدين والفن والجمال والحب. هو بطانة الروح، بل روحها.

الشاعر ليس رائياً فحسب، فهذه صفته السكونية، بل هو سيّدٌ آمرٌ مُنشيء يلعب بالعالم ويداه آلتا تدمير ورَحِما تكوين.

*

عندما ندري كثيراً ما نقول نجفّل ظبية الرسالة وتقفر الغابة بين أيدينا إلا من الحيوانات الداجنة . . .

*

لا تطربْ لصوتكَ لئلا تعكّر طربي به .

*

يظن بعض المؤلفين أن التفرد هو غاية الخَلْق في الأدب والفنون. ويخلطون ما بين الأصالة (أصالة الذات) والتميّز في سبيل لَفْت النظر.

غاية الخَلْق (إذا كان للخلق من غاية نعرفها) ليست هي التفرد، بل التفرد هو جزء «طبيعي» من الخَلْق وفي أساس تكوينه.

الشاعر، الفنان، متفرد بالسليقة بحكم كونه صانعاً لقيمة جديدة، أو كاشفاً لجمال اضافي، أو عاملاً على إحداث مشاعر مختلفة في النفس البشريّة.

لا يحتاج إلى افتعال التفرد، إلى اجهاد النفس للتميّز، وإلى رعاية هذين التفرد والتميز وتنميتهما، غيرُ من يريد أن يسطع دون أن يكون محتوياً على نور.

*

هناك خطأ جوهري في المشهد الآتي: انسان يمر أمام لوحة فنية، أو يسمع سمفونيا أو أغنية، أو يقرأ شعراً فيهتف: «الله ما أجمله!» ثم يتابع سيره المألوف دون أن يتغير مصيره!

*

ليس كلّ صدْق، بل المشفوع بما يجعله أكبر من تنفيس احتقان.

*

صوته الرخو، الباكي، يقول، سلفاً، عجزه عن اقناعك، وعن امتاعك.
كتابته البكّاءة المرتخية تقول، سلفاً، عجزها عن تحريك شيء فيك، عن جرك. . .
هناك، هكذا، من يبدأ خاسراً ويستمر.
تراث من الهزيمة، وبعضهم جعل من ذلك حرفة وتخصصاً.
أمام هذا النوع من الأشخاص ومن الكتابة، ازدادُ فهماً لردة الفعل التي تنادي بالتفوق والقوّة احتقاراً للضعف.
مع أن كليهما، في طرفه، نَقْصٌ ومدعاة مستمرة ومملة إلى رد الفعل ضده.

*

لا أستطيع التمييز، في حياتي اليومية، بين الجمال المصعَّد المعبَّر عنه في الشعر والفن، والجمال اليومي، البَشَري، الحي الزائل. ولا أفهم ولا أريد أن أفهم كيف يمكن أن لا يكون الجمالان متطابقين. ولا أرحم ولا أريد أن أرحم جمال الحياة اليومية إن هو خان الجمال المتخيَّل.

لا أفصل ولا أريد أن أفصل بين الحلم والواقع مع علمي بالنظريات المعاكسة.
لماذا هذا العناد الساذج؟
لأني أشعر بأنّ ما يخلقه الشعر والفن لا يخلقانه من عدم بل «يريانه» رغم الحُجُب.
الحلم ليس تعويضاً عن الواقع بل الواقع هو انحراف عن واقع أفضل منه.

*

ليست أزمة تعبير كتابي وتشكيلي وموسيقي فحسب، بل أيضاً أزمة تعبير نطقيّ. البشاعة والخطأ، النشاز والصرير، الافتعال والبرّانيّة . . .
يجب أن يُفرض علم الصوت في المدارس إذا أريد انقاذ التعبير.

*

ليت الصمت يسبق ذلك ، فيكتون تطهيراً للفضاء، كي تعود الكلمة العليا، التعبير الأعلى، الصوت الأعلى، فتُسري نعمتَها فينا.

❋

بالسَمْع نرى.

❋

عندما تنحطّ لغات التعبير لا يكون ذلك، دائماً، انعكاساً لصورة الانحطاط العام، بل أحياناً تكون الصورة مقلوبة: اللغة المعاقة تَنْحَتُ بَشَراً معاقين.

❋

لم تعد الكلمة، حتى أفظعها، تهزّنا.

لقد استوقفني مثلاً أن كلّ مؤلفات المركي دو ساد طُوّبت أخيراً ودخلتْ، موقّرة غير مثيرة أحداً، سلسلة «لابلياد» الشديدة التطويب في دار غاليمار الفرنسية، الى جانب سواها من المؤلفات الكلاسيكية.

هل بات الفرنسيون جميعهم، ابتداء من تلامذة المدارس، في مستوى استيعاب مؤلف «جولييت»؟ هل تحرر الجميع وانعتقوا ورَشَدوا؟ أم بات كل الناس

منيعين معصومين عن «الانفساد»؟ أم أنهم تَمْسَحوا؟ أم هو الواقع سَبَق الخيال؟

حَدَثٌ كهذا لا يجوز أن لا يستوقف. ديموقراطية كهذه لا يمكن أن لا تُذهل. المفاجأة الكبرى ليست في اباحة الخاص (وأي خاص!) للعام فحسب بل وفي رؤية العام لا يبالي!

لم يعد يهتز لساد يعني أنه لم يعد يهتز لشيء.

انتهت الكلمة؟ ماتت؟

أم نحن الذين ماتوا؟

وما الفرق؟

*

المملّ في معظم الأدب الاروتيكي أحد أسبابه اثنان: الهجس (فهو يراوح مكانه عندما لا يسنده خيالٌ مبدع)، وازالة تأثير الكلمات لفرط ابتذال الممنوع منها.

المركي دو ساد ذاته يكاد لا ينجو من هذا السقوط لولا عبقريته الوحشيّة وصعود جنونه المُطْلَق. وأهميته في كلّ حال لا تقوم على الاثارة الجنسية مهما كانت اباحيّته صدّامة، بقَدْر ما تقوم على مشروعه العام المضاد لمجموع التقاليد والاخلاق والشرائع السائدة، وعلى نبشه مهاوي

النفس وإطلاق وحوشها السجينة والدفينة، وعلى نسفه حدود التخيُّل والقول.

وما يخسره بيد الأدب يغزوه بيد المغامرة الانسانية القصوى.

*

الفن ليس براعة بل استقباله الله.

*

قبل أن يكون الأدب «نصاً»، كما يقولون اليوم بتأثير لغة اللسانيين والبنيويين وسائر علماء الاجتماع، هو «كلمة».
والكلمة جسد. جسد وروح، أي جسد.
والجسد يطلب حباً (أو بغضاً) لا تشريحاً، لأنه يعيش بالعواطف والشهوات ويموت بالفحص «الطبي» والاحصاء.

لفظة «نص» التي يتداولونها بهذه الترادية المنهجية انحرفت عن معناها البسيط، البريء، وباتت تخفي إلغاءً للمعاني وطمساً لوهج الخلق وتسوية بالأرض لما في التجربة الإبداعية من تجربة انسانية ولما في عملية الكتابة من تجربة ابداعية.

يقــولــون «النص» ويقصــدون «الشيء». أو، أصــحّ، اللاشيء. الفلذة التجريدية.

لكن الأدب شخص، وما هو أبعد من الشخص، وليس شيئاً أصمّ. الكلمة جسد، وما يخرج عن نطاق حدوده، وليس جثة.

❋

ينبع الشعر ممن لا يدركون معاني كونهم شعراء.

❋

يحلم الشاعر بتكوين بشرية جديدة لا بكتابة شيء جديد فقط. الكتابة هي الجسد الجديد.

❋

يكتب بعض الشعـراء عن أنفسهم وعن أخصـامهم كـما يتحـدث الحكـام عن أنفسهم وعن أخصـامهم: مِـراء، كراهة، واغراق في عبادة النفس.

هُنا سلطة وهناك سلطة.

والشعراء أسوأ لأنهم يكذبون في موضوعٍ مادتُه الحقيقة.

❋

أتلاحظ كيف يسألهم الصحافي عن أنفسهم بصيغة الغائب؟ وكيف يتحدثون عن أنفسهم، عندما يجيبون ، بصيغة الغائب أيضاً!؟

مثلاً: «ما رأي فلان الفلاني في حرب الخليج؟».

فلان الفلاني: «فلان الفلاني لا يتوقف عند المظاهر. فلان الفلاني يعتقد أن حرب الخليج أبعد مما يبدو. لا يستطيع فلان الفلاني أن يتنبأ بما سيحصل، ولكنه واثق تماماً بانه كان على العرب أنفسهم أن يحلّوا هذه المشكلة بالتي هي أحسن،» الخ . . .

من جانب السائل، قد يكون هذا الاسلوب في مخاطبة الحاضر وكأنه غائب خليطاً من التفخيم والتدليل والتغريب، أو من الخجل والحرج من طرح السؤال بطريقة مباشرة («ما رأيك في» الخ . . .) فيلتف ويلتوي سالكاً طريقاً يبدو أكثر مباشرة في الظاهر ولكنه بالعكس، في الواقع، اذ انه يضع مسافة بين السائل والمسؤول هي مسافة اسم المسؤول. . . ولنقل إن البادىء بهذا الاسلوب كان ربما وحده العارف اسبابه. الباقون، أي الجميع، ببغاوات كالعادة.

من ناحية المسؤول، أو المجيب، الكلام عن الذات بصيغة الغائب، بصيغة الآخر، منتهى الغرور والانتفاخ، ناهيك بانه يتيح للمجيب فرصة اوسع

للكذب. هذا اذا كان المتحدث والمسؤول - المجيب من ذوي «القيمة».

فكيف إذا جاء الحديث عن الذات بصيغة الغائب، الآخر المنفصل، كيف اذا جاء من ادباء تافهين، أو من مجرمين وعملاء اصبحوا «سياسيين» و«قياديين» وزعماء؟ يا لهول اللغة قاتلة ومقتولة! . . .

❋

حتى عندما نقول إننا نُقلّد، نُقلّد.

❋

الاصالة لا تعرف نفسها. لا شيء مما هو جميل، لا شيء مما نُحبّ، يعرف نفسه.

❋

المقهى حاجة للفكر تفوق حاجته الى الكتب.

❋

كلما قام رجل بوضع مواصفات العالم الذي يراه الافضل، لاح لي هذا الرجل، في نهاية الامر، لا أنه يستحق أفضل (وأرحم) من العالم الذي يدعونا اليه، بل

شعرتُ انه هو سيكون أكبر ضحية لهذا العالم إذا تَحقق.

أفلاطون يستحق أن يكون أكثر من مواطن بل وحتى من فيلسوف حاكم في جمهوريته. (كي لا أقول انه يستحق أن يعيش في بلاد الاطلنتيد الخرافية التي يدين نظامها الالهيّ ويفضّل عليها اثينا وحكم العقل).
المسيح. محمد. روسو. فورييه. ماركس...
يرسمون للآخرين أوطانهم وكأنما ليبقوا هُم غرباء.

*

«الايجاز هو روح الفكر» (بولونيوس في «هاملت»، شكسبير).

*

أجمل عبارة في العربية هي «الوطن الأم»: المذكّر المؤّنث. الاب الام. هذه الخنثوية المحترمة للمرة الاولى عند شعوب ومجتمعات لا تحترم ولا تهاب الا الرجولة التقليدية.

وقلْ إن هذا الانقلاب الخطير في المفاهيم، هذه المعجزة، تمّا بفضل... الترجمة الحرفية عن الفرنسية!

*

ما يُفسد الكتابة هو وعيكَ لقرّائها. اذهبْ بلا نظر. اهوِ بنداء الهاوية تَطِرْ. تَغَلْغلْ في التهاب روحك التي لن يعود لكَ معنىً يومَ ترتاح من حريقها.

قلْ كلمتك وأنت نائمٌ عن العالَم.

❋

لا يعرف أن يمدحك إلا بذمّ سواك.
واذا غادر بغضَهُ قليلاً الى الاعجاب (لا الى الحب، مستحيل) يختنق بلسانه.

مشكلة الادباء الذين لا يعرفون أن يحبّوا هي أنهم أيضاً لا يحسنون البغض. بُغضهم حالة طبيعية دائمة، إذنْ مملة ومنطفئة. انها مَحْضُ حسد وعِنَّة.

البغض النابع من قلبٍ يُحبّ، هو وحده البغض الذي يَقْطَع قطعاً، يُحرّر. ويستهوي حتّى الحبّ نفسه.

❋

أنرعبُ حين اقرأ اسمي بين اسماءِ آخرين. غالباً ما يعروني شعور بأن هذا ليس أنا.

حيث القارىء جيّد فلأنه هو جيّد وليس لأن النقد هَداه إلى الحقيقة.

❋

أحياناً قلبي يُشبه لحناً. أحياناً يصير القهرَ من عدم كون الدنيا مثل هذا اللحن.

*

الطرف الآخر من البساطة الشعرية هو الغموض الشفّاف الذي يُعذبك بأحجيته «البديهية» تعذيباً ناعماً، مثل الحاجة الجارفة الى تفسير ظاهرة أو شعور وعدم التمكن من تفسيرهما.

*

... كذلك الغموض الشعري، في مرآة القارىء الحسّاس، يتعرّى دونما نهاية للتعري وللملابس، كحسناء تنبعث فوراً من رماد «استهلاكنا» لها.

*

إنّك تتعرى أمام القارىء الوهميّ لكنّك تتقنّع أمام المرأة الوهميّة.
وقناعك أصدق من عريك.

*

قمّةُ الكلام ليست الغاءه كما قد يُظنّ، انما تسحيره (جعلُه سحرياً).

اعـادة الكهـربـاء الى الكـلام. إعـادة العقـل الأكـبر الى العقول الرسولة.

❋

الابتـذال الجبّـار يحني الـرؤوس جـارفـاً السـامعـين حتّى الموت.

❋

العيش أبعدَ من الكلمات.

الكتابة صوت واحد من أصواتٍ كثيرة لرحلة الغوص في نواة الوجود.

❋

وحـده من ليس شاعـراً يُنكر حضـور الاشيـاء وتكـامـل الكون حتى في صميم وحشيّته.

وحده من ليس شاعراً لا يرى الوردة تزهر من الجرح. العالم لا يموت فقط من قلّة الشعراء بل أيضاً وخصوصـاً من خيانة الشعراء لدعوة الحبّ هذه.

❋

مِنْ خارج

الصراع الحقيقي يجب أن يكون ضدّ كل سلطة في الأرض إلّا سلطة الخَلْق.

❋

كيف نجرؤ، نحن الكتّاب العرب، على مهاجمة هتلر أو ستالين أو طغاة «العالم الثالث» ولم يقم فينا من يدل بالاسم ولا على حاكم من حكامه؟

❋

لا قيمة لشيء مما نكتبه ما دمنا نعتبر أن سلامتنا الشخصية أغلى من الحقيقة.

❋

استعادةُ الماضي لم تحصل، حسب ما أعرف، كما تمنّاها شعراء الحنين. الاستعادات كانت دائماً شكلية، وغالباً

دمويّة، لم تحمل معها العناصر الحيّة للتجربة السابقة، مع اضافة الزخم المستقبلي اليها.

لذلك فشلت الانقلابات والانظمة الاستعداديّة في تقديم نموذج ثوري، واقتصر نموذجها على فلسفة العضلات.

*

ما يُخيفني في أنظمة القوة العَضَليّة والعسكرية والبوليسية أنها تتعامل مع الفكر كما تتعامل مع الموت: باحتقار. لا احتقار اليائس أو المؤمن، بل احتقار الجاهل المتعصب أو الأحمق المغرور.

إذا قبض النظام العضلي على شخص فإنه عاجز عن تخيُّل معاناته في لحظة التوقيف، وطبعاً بَعْدها. نظامٌ بلا خيال. الخوف من الموت، في نظام كهذا، عيب. انعدام رجولة. الرجولة، لهذا النظام، هي نُباحُ قائد الجنود بأوامره وامتثال الجنود للنباح. الرجولة هي الرأس الحليق من خارج ومن داخل. هي الثكنة. هي اختصار العالم الى حدود ما يجهله المتعصّب الأحمق، وما زاد كان للحذف والقتل.

*

مشكلة الأقليات (خصوصاً المسيحية) وغيرها من

المشكـلات في العالم العـربي يبدأ ايجـاد حلول لها عنـدما يبـدأ المفكرون المسلمـون يبحثـون في الاسـلام بحـريّـة وجـرأة كما بحث المفكـرون المسيحيون ويبحثـون بحريـة وجرأة في المسيحية. حرّية تأخذ أمـداءها كلهـا وجرأة لا تقدّس الا البحث عن الحقيقة.

*

سَلْبُكَ حريتك ليس فقط في منعك من الكلام بل أيضـاً في ارغامك عليه.

*

يا لها خيبة عندما تُفاجأ بأن ذلك الحاكم الطاغية الداهية الرهيب كان في الحقيقة متخلّفاً عقلياً.
حرمانكَ تبرير أن تكون ضحيّة التفوّق.

*

مَن منّا يذكـر أنه، لعشرين أو ثـلاثين أو مـا فوق، كـان يحتل نصف الدنيا؟ وأن أباه كان يحتل كـل الدنيـا؟ وأن جده كان مَلِك الدنيا بلا منازع؟

الـدلال الذي كـان للانسـان أُسقط وحـلّ وحش العصر الأميركي ـ التوتاليتاري. أُقيل التأمل. أُقيل الشعر. أُقيل

الحلم. أُقيلت الأنـاقة. أُقيلت الـرهافـة. أُقيلت ظروف الاشراق. أُقيـل الاتصـال بمصـادر الجـمال الحقّ. أقيـل الانسان.

لماذا يكون لكـل خطوة الى الأمـام ثمن ندفعـه من أغلى مناطق في كياننا؟ ألكي تتمّ الحضارة، حين تكتمل، على قبر الانسان وقد مات كلّه؟

هذا هو سبب شدّي ما أشدّه من الماضي فيـما أنا أسـير. هذا هو سبب توجسي من المستقبل فيـما أنا أنـظر بغضب وتمـزق إلى النقصان والامتقـاع، الى التبغُّل والتتمسُـح، إلى العته والقبح اللذين يصيبانا كلّما تقدمنا.

صحيح أنه لا مفـاضلة بين الكـوارث ولا بين الجـرائم. ولكنه آن أوان القول إن الحربين العالميتين اللتين عرفهـما هذا القرن، بما فيهما من ويـلات وفظائـع، قد حجبتهـما «شمس» العصر الامـيركي - التـوتـاليتـاري التي تجـاوز استهتارها السياسي كل الحـدود وألغى قواميس السيـاسة الكلاسيكية والحديثة معاً موجداً مكانها قـاموس الكـذب المطلق والانتهازية المطلقة والابتزاز المطلق والظلم المطلق والقتل المطلق. وبين قنبلة هيروشيـما وناغـازاكي الذريـة والتضحيـة بلبنـان، ثم تـدمـير العـراق، مـروراً بسحق أوروبـا الشرقية وطـرد الفلسطينيـين من بلادهم واقـامـة

أسوأ الأنظمة الديكتاتورية والبوليسية في العالم الثالث، فضلاً عن افتعال الفتن والحروب الأهلية، ناهيك بنشر الاسفاف والضحالة وتعميم الأحادية والتفاهة في الفن والكتابة والمأكل والملبس والتخاطب والعلاقات والعادات . . .

بين تلك وهذه، منذ منتصف الأربعينات إلى اليوم، افترَسَنا الوحش.

إن الذين، مثلنا، ما زالوا يتكلمون كاللغة التي نتكلم، أصبحوا يبدون ملفتين للنظر، أو بالعكس موضع شفقة.

انظروا حولكم تروا هذه الجموع العمياء المهسترة غبّ الطلب، هذه الملايين من الأغنام المبشعة المساقة إلى «الانتاج»، انتاج موتها وموت كل شيء تراه وتسمعه وتلمسه وتحبه.

إن الخلاص رهنُ القضاء على هذا الوحش، أو تنقيته من أسباب فساده وافساده. فهل ان ذلك ممكن؟ ولمن؟ سؤال إلى المجهول.

لم يسبق للبشريّة أن واجهت مصيراً بهذا الرعب.

*

العربي الذي يتكلم بسخرية عن موضوع حرية التصرّف بالجسد ظنّاً منه أن الحريّة السياسيّة أهمّ، يقصد أن الحرية السياسية «محترمة»، بينما الأولى مخجلة، فضلاً عن كونها «بدعة غربيّة».

الفصل بين الحريتين استخفاف بجوهر الحرية، وهو أنها كلّ. وهو يتجاهل كون الحرية الشخصية، النفسية الحميمة، هي الأساس لكل حرية، وللحريات السياسية والاجتماعية. ويشير خصوصاً إلى معنى يُعطى للحرية، ولا سيما في ظل بعض الأنظمة العربية «الجدّية»، يركّز على صفة النضال السياسي (غالباً من أجل شعارات يُعمل في الواقع نقيضها) ويعتّم على صفة النضال الوجداني، والنفسي، والروحي، والأدبي، باختصار: نضال الانسان كلّه من أجل حريته كلها وبالمعنى الشامل الكامل لكلمة حرية.

إن من يحتقر حرية التصرف بالذات يحتقر في الواقع كل حرية.

*

على هامش قضية سلمان رشدي وكتاب «الآيات الشيطانية»، وبصرف النظر عن قيمة الكتاب: حريّة البحث الديني في الاسلام شرط لتحرر المسلمين. بل

شرط لتديّنهم الحقيقي. ولن يحصل تقدّم في هذا المضمار ما لم يتوصل المفكرون إلى إزالة وصاية السلطة السياسية ـ الدينية عن البحث الفكري في الدين. فلا بد من منع هذه السلطة، عاجلاً أم آجلاً، من اعتبار كل كلمة جريئة أو جديدة حول القرآن أو العادات والتقاليد الاسلامية اعتداء على املاك خاصة محرّمة أو انتهاكاً لحق مقدس من حقوق موروثة يُهدر بسببه دم الكاتب وتَهدر التظاهرات. ولا بد لقدسيّة حرّية الفكر أن تحتل في الاسلام أيضاً مكانها الأعلى.

. . . ولا يخفْ أحد على الله من الحرّية، فهي أضمن الطرق المؤدّية اليه.

*

خوفُ بعض المثقّفين العرب من الحرية لا يزال أقوى من حبّهم للحقيقة.

*

التاريخ في العصور الحديثة أصبح يكتبه الإعلام. الإعلام في أيدي اليهود. «الحقيقة» التاريخية أصبحت يهودية.

في العصور الماضية كان التوجيه اليهودي للأحداث

والتـاريخ مـوجـوداً، وبشكـل مصـيري، إلا أن عنـاصر أخـرى في الحضارة كـانت أيضاً مـوجـودة. لقـد كـانت المسيحية موجودة، لا المسيحية المناهضة لليهودية فحسب بل المسيحية بذاتها، في معزل عن موقفها من اليهود.

اليوم، حتى الموضوعات الـدينية المسيحيـة كقصة يسـوع المسيح أو مشكلات الكنيسة، يكاد لا يصلنا منها إلا مـا تَـرضى عنه أو تصنعـه وتكتبه وتخـرجه وتنتجـه وتسـوّقـه السينـما اليهوديـة والمسرح اليهـودي والتـأريـخ اليهـودي والأدب اليهـودي والصحافـة اليهوديـة والفكر اليهـودي والأغنية اليهودية والتصوير اليهودي.

وبَلَغ من أمـر السيطرة اليهـودية عـلى الغرب أن صـوتـاً واحـداً فيه لا يجـرؤ على قـول مثل هـذا الكلام، الـذي ليس فيـه سوى تسجيـل لواقـع. وإذا قـالـه ووجـد من ينشره له، عاقَبَتْه القوانين التي صنعها يهود ليطبّقها الغرب حماية لليهود أو سنّها مسيحيون في الغرب كانوا، بعلمهم أو من دونه، أدوات وصنائع يهودية.

«الحقيقة» الحديثة حقيقة يهودية. مع توسيع حدود أرض الميعاد إلى القارات الخمس والفضاء الخارجي.

إذا أراد أحـد يومـاً أن يعرف تـاريـخ العصـور الحـديثـة فسيكون عليه أن يثقب جبال الجليد اليهـودية لينفـذ إلى

النور. وسيكون ذلك ممكناً لا للعلم بل للشعر، مثله دائماً. لرؤيا ترى رغم التضليل وتَعْدل رغم التعصّب وتُحبّ رغم عبقرية الذين يفعلون المستحيل لارغامها على الكراهية.

*

لفرط مرارتي لم أعد أرى في شعبي سيئة، وأنا مَن أمضى عمره في فضح مثالب هذا الشعب.

ولكني بعد الفخ الذي أوقعت لبنان فيه المؤامرةُ منذ ١٩٧٥ خيّل إليّ أن كل كلمةِ نقدٍ كنت أكتبها ضدّ نفسي وشعبي كان ثَمة في الظلّ من يقتنصها ليوظفها ضدي وضد شعبي. خنقوني مرة بحرير حرية تعبيري ومرة بصدق هذا التعبير. كَمنوا في الجب والبئر، يحرضونني على الظهور ويغرقون في خنادق خُبثهم.

لن أظل أرى شعبي بطلاً، عظيماً، مظلوماً، طيباً، كما أراه الآن(*). ما أن يزول الكابوس حتى يذهب معه هذا التعويض، هذا «التصعيد» العاطفي.

لكني هذه اللحظة، وهو مصلوب ومتروك لقدره وحيداً إلّا من تشبّثه الاسطوري بالحياة، هذه اللحظة لا

(*) خلال جولة قصف في لبنان ١٩٨٩.

أستطيع أن أرى إلا ما أراه: وهو أني أنتمي إلى شعب قد لا يُحب فيّ الشاعر ولا الكاتب ولا المفكر ولا شيء، لكنني أنا أُحب فيه حبه للحياة، هذا الحب الذي أصبح نوعاً من المعجزة الدائمة. وأحبُ فيه، أكثر من ذلك، رفضه للخضوع، هذا الرفض الذي كان وسيظل سبباً من أسباب ضعف دولتنا، ولكنه كان وسيظل سبباً من أسباب بريق عيوننا وازدهار عبقريتنا كأفراد. وأكثر من هذا وذاك أحبُ فيه، مهما أدار ظهره للشعر والفكر، أحب فيه، هذا الشعب المادي المركنتيلي الكثير العيوب، أحب فيه ممارسته للحرية حتى الموت، حتى الموت هزءاً بالموت وفرسانه، ولكنْ ولا مرة تنازلاً عن الحرية.

*

هؤلاء الحالمون بنظام سلطوي يتوقون الاندماج به والذوبان فيه، هم دائماً الجسور الممدودة نحو الطغيان والاستعباد.

يحسب هؤلاء العقائديون ذوو التعابير العسكرية أو المأخوذة من قاموس المصارعة والملاكمة، أنهم يعملون (!) لغدٍ أفضل، لدولة خالية من الظلم والفوضى والرجعية. الواقع هو أنهم، من حيث يدرون أو لا يدرون، يضيقون بحرّيتهم، لذلك يحلمون بتسليمها إلى

مَن يَسحقهم.

إلى من يسحق الجميع، بمن فيهم هم (ولو كانوا في البداية من الساحقين)، فيرتاحون من عبء الحرّية في مجتمع لا يعود فيه أحد حُراً ليعيّرهم...

*

«الحقيقة» أيضاً وسيلة من وسائل القمع.

*

تحترمون الطغاة (أو تكرهونهم باحترام) وتحتقرون امرأةً تضاجعكم.

معادلتها: تحترمون التعذيب وتحتقرون المتعة.

أيضاً: تحترمون الموت وتحتقرون الحياة.

إلى آخره.

في مجتمعاتكم «المتخلّفة» و«المتمدّنة» سواء بسواء، وهي لذلك مجتمعات تستحق ما يصيبها من كوارث.

*

(أدافع بالطبيعي ضد الايديولوجي. ثم أنتبه أن الطبيعي أيضاً أيديولوجي).

*

في كل لحظة يتهدّدنا الموت. وقبل أن يقتلنا، يريد استعبادنا، وإذا لم يستطع استعبادنا، يقتلنا. لم أعرف قهراً، لم أقرأ عن قهر كالذي أعرفه منذ أربع عشرة سنة(*). عادة يكون القهر مغروراً دَعيّاً، على شيء من الغباوة. لكنّ هذا القهر مراوغ، مطّاط، خبيث، تنحني فينحني أكثر منك كي لا تفلت منه، وتنتصب فينتصب أعلى منك كي لا تفلت منه. قَهرٌ عريق في القهر. جلّاد عريق في سوابقه كضحية...

*

مع هذا، ولا مرة شعرت أنني حيّ مثلما أشعر وسط هذه المجزرة.

ولا مرةً شعرتُ بالحرية مثلما أشعر وأنا في قبضة هذا الكابوس.

ولعل الفرق بيننا، يا قاتلي، هو عمق الحرية في وضع كل منّا. فربما أنا سطحي وأنت عميق، لكنّ حدّ الحرية في كياني هو أعمق منه في كيانك. أعمق وأكثر فيضاً.

وإلا لما كنت تستطيب قهري. فالحر هو حُرٌّ أيضاً لغيره

(*) خلال جولة قصف في لبنان ١٩٨٩.

ومعه ومن أجله. ومَن لم يكن كذلك فهو ليس بحرّ.

وعمق حدّ الحرية في كياني هو ما يفسر تمردي رغم خوفي. وهو ما يفسر قوّتي رغم ضعفي، وحياتي رغم موتي. وهو ما يفسر احتمالي الفواجع، وأخطائي، منذ أربع عشرة سنة، دون أن أتراجع عن تقاليدي في الحرية.

إنّ هذا هو سرّي: هذه الحرية التي تُعيد دائماً، في لَمْح البَصر، اعلاء الوجود على الفناء والحبّ على البغضاء، كأنَّ شيئاً لم يكن.

وبدفاعي عن حريتي لا أدافع عن حريتي فحسب بل عن حرية كل انسان، بمن في ذلك أنت يا قاتلي.

وأكثر ما يؤلمني هو أني، فيما أنا العنك وعنقي تحت خنجرك، أموت من أجلكَ أنتَ أيضاً.

*

ما يرعب هو الصوت لا الفعل. لعل الجندي الذي يهرب يهرب من صوت القذيفة لا من الموت. والذي يصمد ويقاتل يفعل لأنه قليل التأثر بالصوت وليس دائماً لأنه أكثر شجاعة.

*

السلطة هي القتل.

*

يبدأ المحروم في المطالبة بالمساواة ولا يلبث أن يعمل للسيطرة، ثم ينتهي بسحق الجميع.

*

المتهتّك الداعر غالباً ما يكون في حياته الخاصة ظاهر التهتك والدعارة، مستهتراً بالتقاليد والأعراف، نزويّاً.

أما السفّاح، الطاغية، المغتصب الغازي، فغالباً ما يكون في حياته الخاصة انساناً دمثاً متواضعاً مستوحشاً يبدي حاجة إلى العطف والسَمَر موحِياً للثقة قائماً بواجباته العائلية والاجتماعية والدينية «على أكمل وجه»...

الشرّ الفرديّ يلبس الشر، وأكثر منه. الشر الجَماعيّ يلبس الفضيلة.

*

هُم في الصباح، بعد ليلة القصف والرعب(*)، أجسام

(*) ١٩٨٩.

محطَّمة أو خرائب محروقة، لكنها أجسام وخرائب تضجّ بالحياة وتُعدي بالحياة أكثر من ملايين الناس الذين تلتقيهم في شوارع العواصم الغربية، لا حروب تقتلهم ولا ارهاب يلاحقهم، ومع هذا تفوح منهم روائح الموت وتحوّم فوقهم، حتى في لحظاتهم الحميمة الأكثر دفئاً، غربانٌ وعقبانٌ وأشباحُ النهاية.

*

«الحقيقة» عنصرية.

*

بإمكان كاتب واحد، بما له من ثقل معنويّ، أن يقمع مجتمعه أكثر مما يفعل حكمٌ بوليسي أو طاغية.

*

ليس تعذيب الضحيّة هو وحده ما يُمتّع الجلّاد، بل بالأكثر ملاعبة ما هو أبعد من الضحية عبر الضحيّة وما تُمثّل: ملاعبة (أو استفزاز) ما يُقال عن وجود حماية غير منظورة للضعيف، ملاعبة (أو استفزاز) خَطَري القصاص والندم، ملاعبة (أو استفزاز) التحدّي، تحدّي العالم الأكبر عبر العالم الأصغر، سواء أكان هذا الأصغر

حشرةً أم انساناً أم بلداً أم قيمةً معنويّة.

*

لماذا يقال لنا ونردد إن الاستقلال يُؤخذ ولا يُعطى، إن الحريّة استحقاق يومي دائم، إن السلام انتصار بعد حرب!؟

أطْمَحُ أيّها الانسان البغاء، أطمحُ من أجلك إلى عالمٍ تصبح فيه الغايات المنشودة، من استقلال وحرية وسلام وبحبوحة وهناء وتناغم، معطياتٍ كريمة، مزدهرة، متوافرة بسخاوة الطبيعة وبساطة الطيبة ووداعة القلوب الحنونة.

رغم لؤمكَ أو عماك، تظنّكَ محبتي تستحقُ حياةً أكثر استمتاعاً وهدوءاً.

*

يفعل ميخائيل غورباتشوف في الستار الحديدي(*) ما كنا نحلم أن يفعله ثائر.

لقد سرق الحاكمُ دور الثائر.

والشعب؟

(*) ١٩٨٩ - ١٩٩٠.

الشعب استجاب وهو لا يصدّق أن هذا الحاكم حاكم، بل وقيصر.

في بعض التاريخ تنقلب الادوار: السلطة في خدمة التغيير، والمفترض أنهم تغييريون هم في خدمة السلطة.

ولكنّ هل التغيير على يد القيصر هو التغيير المحلوم؟ تظل الشبهة تدور حول الحكام مهما فعلوا، فلعنة تراثهم أكبر منهم. كما أن الندم يظل يعقب الثورات مهما فعل الثوار ليتجنبوه.

نتساءل بوَجَل عن مستقبل مجتمعاتنا العربية: هل تنتقل اليها موجات «التحرير»؟

نتمنّى ألّا نشوه التحرير والحرية، إذا حصلا، كما سبق أن شوّهنا الثورة والاشتراكية.

إلى الآن لم يكن «أصيلاً» في مجتمعاتنا العربية غير الرجعية. فدعونا لا نترحّم عليها!

*

سلاسل العبودية تُقيّد اليدين والرجلين وتُبقي الضمير طليقاً.

لكنّ عبء الحرية يُقيّد الضمير ويُطلق اليدين والرجْلين...

*

لا حريّة مع الخوف.
إذنْ، لا حرّية بدون قتل الشعور والضمير.
إذنْ، لا حرّية إلاّ لأعدائها...

*

قَلْبُ الشعب مجموعة أوتار حسّاسة لا يجيد العزف عليها سوى كبار الصادقين أو كبار الكذَبَة.

*

للخوف أيضاً نهاية.
لا النهاية السعيدة لا
بل أيضاً نهاية القدرة على الخوف.
يصل الخائف الى آخر الخوف
وبجنون هادىء
يَطْلع من الاختباء
كاشفاً صدره وظَهْره
ماشياً في عرض الطريق
يخرج إلى القَتَلَة الذين ينتظرونه.
وحين يشاهدونه
يشاهدون روحَ ما بَعْد الخوف
وجهَ ما بَعْد التجربة

الذي لا هو استسلام ولا هو شَجاعة بل بطولة التَعَب
بطولة مَن استنفد طاقته على الرعب
ففَتَحَ وخَرَج الى المخيفين
وليصرْ ما يصير.
ولما شاهدوه
ذهبوا
ونزلوا
وخافوا.

*

يمكننا أن نقول أي شيء عن المأساة اللبنانية المستمرة على تنوع، كما يمكننا أن لا نقول شيئاً. ما الفرق؟

الانتحار الأخير(*) كان ذروة في الانتحار، ذروة في وحشيّة الانكفاء على الذات، ذروة في تنفيذ المؤامرة على الذات، ذروة في احتقار الحياة والانسان.
حرّية الانسحاق.
حرّية الموت.
الحرية الوحيدة المتروكة لنا؟
أَمشي أمشي ولا أجد لبنان.

(*) حرب شتاء - ربيع ١٩٩٠.

أين لبنان؟
كنتُ أسكن رأسي، كالعادة، لا لبنان.

❋

قلّة الذوق مسؤولة عن الشقاء والاجرام والحروب قَدْر مسؤولية الجهل والشر والعدوانيّة.

❋

أَفْضَلُ مَن يَقتل المفكرين أو يُجْهز عليهم هم تلاميذهم. وخصوصاً من الحكّام.

كلّما اعتنقَ حاكمٌ (أو ثائر، أو انقلابي) أفكار كاتب، كنا على ثقة من أنه سيفعل عكس ما قصده الكاتب.

يُخان الفكر ما أن يُكتب والكتابة ما أن تُنفَّذ في الواقع.
وعلامَ التعجّب؟ أليس المفكر نفسه يخون فكره ما أن يحاول تطبيقه؟

لأنه طلاق حتمي بين الفكر والواقع، بين الحلم واليقظة، قد تقول.
ولكنّه للأحرى نقصان الفكر، ناهيك بعدم أهلية الواقع.

عندما يتوصل الانسان الى تخيّل فكر شمولي حقاً، في

الزمان والمكان والمسافات كلّها، وإلى ترجمته كتابياً بلغة لا تدع مجالاً للتحجر، تضمحل العوائق أمام تطبيقه.

وإلّا، إذا فشل المشروع الشمولي العام، فلا بأس بتجربة الحلول المجزأة، الحلول التي على شاكلة الجُزُر، حيث لكل نوعية من البشر مجتمعهم والقوانين التي تريحهم.

ومهما بدا كلامي ساذجاً سأقوله على علّاته: تطلعتُ وسأظلُّ متطلعاً إلى وقت يسود فيه حكم التجانس بين الواقع والخيال، حكم التطابق بين الحياة والمشروع الفكري.

وطبعاً لا حاجة للقول إن الخيال المقصود هو الخيال الخلاق جمالاً وسعادة، والمشروع الفكري هو مشروع الخير والحرية لا سواهما.

والانهيارات والخيبات، داخلية وخارجية، تهزّني ولكنها لا تقتلع مني جذور هذا التطلع... على العكس، إنها تزيدني يقيناً أن معظم شقائنا مصدره التأخر في تحقيق ذلك التطابق المنشود.

*

انفجرت القنابل الذرّية كلها وانتهى الأمر، لا نَخَفْ! لقد انفجرتْ في أفكارنا من سنين.

وإذا فجّروها في الأرض فلن تصيبنا، لأننا سنكون أشد تلوثاً منها.

مساكين العلماء! سوف يُجبَرون على اختراع سلاح أشدّ فتكاً مما يفتك بنا...

*

أواثقٌ أنتَ من أنكَ تستطيع، اذا نلتَ الحرية، أن تعيش بحرّية؟

تسكر بكلمتها، تدافع عنها حتى لخصمك، تموت في سبيلها. ولكنْ حين تأخذها، هل تحتملها؟
أراك تائهاً بحرّيتك، كأنك لا تعرف ما تقول.
وذلك هو الأمر الشاق، المرعب: الحرية تكشف، تفضح فينا هذا الفراغ، هذا الخواء السحيق، الحقيقي، الذي كأنه تلائمه السلاسل، وحتى الاستعباد والاضطهاد، لأنها تغطّيه وتعطيه الذرائع للصراخ ضدّ القمع والطغيان والصياح طلباً للحرية.

لكنك أُعطيت حريتك يا صاحبي، فماذا حصل؟ بدوتَ فجأة مثل قبرٍ رُفعتْ عنه الصخرة البوّابة: تجويف بارد

لا يسكنه غير الوطاويط والجرذان والعناكب والحشرات.

الحرّية قاسية لمن ليس «أكثر» منها...

لقد كنتُ دائماً أرتاب بدعواتك يا صاحبي، أنت المعتَّق منذ مئات السنين في غناء الحرّية. ولم أكن أريد أن أعرف سبب هذه الريبة. واليوم، حيال أمواج «التحرر» المتدفقة على العالم، صممتُ أن أعرف لماذا لم أستطع أن أفرح «الى النهاية» بهذا العرس، فاكتشفتُ أن ما يلجم فرحي هو هذه الصحراء، هذا الفراغ المبتذل، الممل، المفقر، المميت، فراغ ما وراء التحرر.

هل يعني هذا أني ضد التحرر؟ طبعاً لا. (ولو أني ضده في بعض الحالات، كما عندما يكون صنواً لصفاقة الأغبياء، أو لتبشّع بعض النسوة الظانّات التحرر انفلات الغلاظة وأخْذ الراحة في عدم الاغتسال). لكني أكره أن يأخذ مجراه على أرض قاحلة، وأن يغادر المرء السجن لينتقل الى القبر.

حتى الحر العتيق، بلداً أو فرداً، أراه أحياناً دون مستوى حرّيته، لا يفعل بها شيئاً (ولا شيء أكثر من ذلك المحروم منها) غير ممارسات هامشية تنتمي إلى المظهر الخدّاع أكثر مما تنبع من الجوهر أو تتصدّى للجوهر.

دعني أكررها لك يا صاحبي: الحرّية فضّاحة لمن ليس «أكثر» منها.

ولو كنتُ طاغيـة لما انكـرتُ قَمْع النـاس، بل لقلت لمن يسـألني: أفعلُ هـذا حمـايـةً لهم من اكتشـاف فـراغهم، أفعـلُ هذا خـدمةً لهم، كي يـظلّوا متشوّقـين الى مـا لـو حصلوا عليه لماتوا من التفاهة...

... ولكن الحقيقـة، وهذا هـو المفجع، أن الـطاغية لا يقمع لحماية المقموعـين من اكتشاف الفـراغ والتفاهـة بل لأنه أكثر امتلاء منهم بذلك الفراغ وتلك التفاهة.

ولا يشذّ على هذه القاعدة غير الشعراء والفنانين والأولاد والمجـانـين، فبعضهم يخلق العـالم عـلى هـواه فيمتـلىء بـأصـوات الفجـر ويغتسـل بنضـارة الينبـوع الأول، وبعضهم الآخـر لا يلوي عـلى وعي، أي أنـه نـاجٍ من عقـوبـة التمييـز بـين خـير وشر، وبـالتـالي فهـو طـاهـر كـالشمس، ذاتيّ وأنـانيّ كـالحيـوان، سعيـد ومنـطلق في حلمه الى ما لا نهاية.

الحرية قاسية لمن ليس أكثر منها، وليّنـة جداً لمن يعيش، كاولئك البلا عقل، دون أن يسأل عنها...

*

الأمل أبله. الأمل هو اليأس. الأمل هو المؤامـرة. الأمل هو طعمهم لاصطيـادك. الأمل هـو حبل الـرعب يلتف

حول عنقك. انفضْ عنك كلّ أمل. لا نور قبـل الظلام المطْلَق.

*

أنهارٌ من الانهيـارات تجرف كـل شيء. الأنقـاض تـدفن الجثث والجثث تـدفن الأوهام. الـدم في الأرض. لم يعد لأحد أهل ولا وطن. لم يعد لي حائطٌ ولا هواء(*).

أحرقوا غابة صمتي وأحرقوا غابة صوتي. لم يعد لي مكان أصغي فيـه. ولا أُحبّ فيـه. ولا أمـوت فيـه. لم أعــد أعرف من أنا.

سقط القناع عن وجهي. ثم قناع آخر، فآخر.
ثم سقط وجهي.
ثم سقط رأسي، وروحي.
سقط الحب، البغض، الحقد، ثم سقطت اللامبالاة.
سقطت حياتي وسقط موتي.
«الحقيقة هي في قعر الهاوية» يقول ديموقريط.

أراكِ الآن أيتهـا الحقيقة! وأتمـرغ بـين أحضـانـك!...
ويقيناً ما كان هذا المشهد المقزز يستحق مسيرة عمر.
ويقينـاً لا شيء يستحقّ شيئاً أكـثر من وقفـة احتقـار، أو

(*) خلال حرب شتاء - ربيع ١٩٩٠.

جلسة احتقار، أو سكرة احتقار، أو سلسلة هذيانات انشطارية تُنهيها بالبصق المركّز على وجه العالم، اذا كان للعالم وجه، واذا كان للعالم من وجود، حقاً.

*

في عصر التضخّم الاعلامي وتخمة التعبير يغدو الصمت ضالة منشودة.

عصر ظلمات الثرثرة، ضوضاء البرابرة الجدد، مكاتب تفتيش الصحافة، شيوعية التقليد الببغائي والضحالة، جماهيرية كل شيء، اباحة كل شيء ولكن بطريقة منزوعة الخيال للقضاء على الرغبة، على الرغبة في أيّ شيء محرِّر ورافع، وعلى الرغبة في الاباحة.

في عصر التعهير الخالي من اثارة العهر، تغدو البطالة، بطالة القول وبطالة «الاشتراك»، ملاذاً وخلاصاً.

لقد جُنّ العالم من ضجيج أصواته دون أن يَسْمَع صوت أحد. دون أن يسمع صوت نفسه.

وباتت هستيريا المنظر الحضاري المعاصر وشناعة نشاز أصواته تفرضان على الوجدان سؤال ذاته: هل خرجتُ من ظلمات الاحشاء لكي أتفتت تحت وطأة الصراخ القبيح و«التوجيه» الكاذب والتخاطب الاجتماعي التافه

وغير المصغي فيه انسان الى انسان؟ هل أخذتُ حريتي لأختنق من ازدحام سير الحرّيات الزائفة على درب الركض المحموم في دوّامة التكاذب والتهارُب والتصامُم؟

. . . وها أنا بدوري أقطع الصمت بكلام يتعدّى اللزوم.

أنْ نُغسل من هذه العادة البشعة: استعمال كل حقّنا في الكلام حتى آخر حرف.

الايجاز ذوق.

الصمت حب (او احتقار) فائق.

*

معرفتُنا بسيّئات الغرب لا تكفي لجعلنا أفضل منه.

*

أكرهُ السيطرة المادية ـ التقنية في الغرب، لكني أُحب فيه نقده الذاتي الذي يُخجلني أنا المجتمع العربي العديم الاقرار بالخطأ، إن على مستوى الأنظمة أو على صعيد المثقفين.

أنا المجتمع العربي الذي يحلو له أن يعتبر تخلّفه مجرد فقر في الوسائل المادية ـ التقنية لكي يتهرب من الاعتراف

بأنه فقر في الشغف بالحقيقة، وفقر في احترام الانسان لا في سلطته انما في اختلافه عنا.

*

أكرهُ في الغرب نظرته الفوقيّة إليَّ أنا العربي، لكني أكره أكثر منها نظرتي أنا العربي إلى العربي الآخر، وهي لا تقلّ عن نظرة الغرب احتقاراً.

*

أكرهُ في الغرب امبرياليته واستعماريته، وأكرهُ في المجتمع العربي غوغائيته وجهله للحرية.

*

أكرهُ في الغرب ذنوبه، ذنوبه ضد الروح، ضد الضعيف والفقير، ضد السرّ والحلم، ضد التأمل والكسل والخيال والجمود...

وأُحبُّ في الغرب شعوره بالذنب، هذا الشعور المطهِّر، الجبّار، الخلّاق، الانساني، الذي يُخجلني أنا المجتمع العربي.

*

القرن الحادي والعشرون الذي قد يكون قرن غزو الدماغ، يقال إن الأميركيين والروس يأملون خلاله، وربما قُبَيْله، اكتشاف الوسائل التي تمكّنهم من التأثير في دماغ الانسان (ومن ثم في الجماهير) عن بُعد، فتثار فيه (وفيها) مشاعر الغضب أو الحبور، مثلاً، حَسَب المراد، ويغدو في الامكان التحكم بردود فعل البشر، حكاماً ومحكومين، بكبسة زر على غرار «الريموت كونترول»، أو بإرسال شعاع كالليزر، دون أن يعرفوا أنهم مدارون. . .

أفق مخيف ينذر، إذا تم، بالقضاء على آخر معاقل الدفاع البشري ضد المكننة والبرمجة والقطيعية، بل ضد التعليب: الرأس، خزانة الخيال، سفينة البحر اللامحدود، التي لم يستطع حتى غضب السماء ترويض جموحها.

هل يخضع الدماغ لخطط العلماء؟

يفترض هذا إحاطة تامة بكيفية نشوء الانفعالات في الدماغ. فمن يستطيع، اليوم وغداً، الادعاء أنه قادر على مثل هذه الإحاطة، بينما يعترف طب الدماغ والأعصاب بأن ما يجهله في هذا الحقل هو أكثر بكثير مما يعرفه؟

لقد وُجد دائماً ويوجد الآن وسوف يظل يوجد علماء وأطباء يطمحون الى السيطرة على «ماكينة» الدماغ كما بدأ العلم يسيطر على الفضاء الخارجي أو يتحكم بـ «الدماغ الآلي». لكن العلم مهما أوغل في التقدم سيظل يفاجأ بأن «ماكينة» الدماغ البشري أدغال وحشية لا نهائية، لا حدود لتعقيداتها ولا لمفاجآت أعماقها.

وإذا حشدت الدولتان العظميان (أو سواهما) علماءهما للتحكم بالدماغ فقد تتقدمان بضع خطوات لكنهما ستكتشفان في النتيجة أن حدود عظمتهما وحدود العبقرية العلمية تقف عند شيء لا يقبل به العلم الوضعي والفكر المادي، ويرفضه الملحدون: سرّ مُغْلَق لا يمنع الراغبين من محاولة فتحه، ولكنهم يحاولون ولا يقبضون إلا على سراب.

سر متواضع، ينام في ثنايا الدماغ، يحميكَ وسيظل يحميك من ان يتبلعك غولُ العالم.

*

باطل الأباطيل كل شيء باطل؟
لا، بل ظلم المظالم كل شيء ظلم ولا حق ولا عدل ولا حرّية تحت الشمس.

ربما وحده التمرّد. والشعريّ الروح. لأنه إن لم ينتصر فعلى الأقل يخفّف الشعور المُحْبط بالخديعة.

*

أكثر فأكثر أشعر أني لا أنتمي إلى هذا العصر. مع أني أحس أني أكثر تقدميّة منه، هو المكرّه تقدمُهُ بفكرة التقدم.

لو كان ورائي باب سحري، حائط مسحور أطرقه بكوعي فينفتح لي الماضي، لفتحتُه وتواريت.

خمسين، مئة، مئتي سنة، وفي بلاد أخرى ولكن في غير أميركا.

لم أعد متفاهماً مع أحد من أبناء عصري. من قبل لم أكن متفاهماً، ولكني كنت أجد شيئاً ألقم به نفسي أو أماطلها. وكنت أجده في معاصرين مغتربين، فهم ابناء اللازمن، ولو تزيوا احياناً، ذوقاً منهم، ببعض الوان العصر ـ هذا اذا لم يكونوا هم مبتدعيها...

لم أعد أجد غير ما أكره، غير البشاعة المنتصرة، التجارية الداعرة، التفاهة المكرّمة، والتزوير المبجّل. إنه حقاً العصر الأميركي المظفّر.

وكل العالم أميركا.

فرنسا هي أميركا، وبريطانيا هي أميركا، وايطاليا أميركا، والمانيا، واليابان، والصين، وروسيا، والعالم العربي، وآسيا، وافريقيا، والتلفزيون، والكنيسة، وايران، والقمر، والبحر، وقميصي.

عصر مجيد حقاً، لا أملك أن أصفه بغير كلام بذيء لم يعد يخرق ولا يحرق، ولا أعرف مفرداته، ولا صبر عندي لتعداده.

❋

بعدما أصبحت الدول الشيوعية أميركية لم يعد الصراع بين شرق وغرب. أميركا تنفرد الآن بالسلطة والقرار. وأخيراً أصبحت الأرض كلها أميركا.

من سيوقف أميركا؟ من سيخيفها؟
لا أحد في المدى المنظور.

إلا، ربما، الصغار، وربما صغار الصغار، الذين لا شيء عندهم يخسرونه... (شرط الا تستوعبهم الاستخبارات الاميركية، وتستعملهم من دون ان يدروا).

وفي الانتظار الاتكال على الله، أو على... ملل أميركا من الحالة اللاصراعية، فتخفّف وطأتها إذ تتلهّى بما يسلّيها ويدمرها في عزلة سؤددها المطلق.

❋

هذه العبارة المرعبة لألبير كامو، في رسالة وجهها بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٥٦ إلى الكاتب الفرنسي بيار موانو وأذيع نصها قبل أشهر(*): «أنا ضد الشيوعية الروسية التي نعرف وجهها، ومن أجل الغرب، أنا مع دولة اسرائيل - التي ولدت من استشهاد ملايين الأشخاص - ضد الديكتاتوريات العربية، التي ولدت من البؤس أو من العبودية، وغير القادرة إلا على مواصلة هذين البؤس والعبودية».

... وقبله سارتر. وقبلهما... وبعدهما... واليوم متحررو أوروبا الشرقية الذين صفقنا لخروجهم من السجن...

كلما أَحْبَبْنا أحداً يَطْلع ضدنا!

*

الفرد ينادي بخير الجماعة والجماعة تنادي بسعادة الفرد.

هذا في المجتمعات الغربية.

تبادُل مجاملة. مزايدة على درب البحث. مناقصة في الخوف تحت جنح الظلام...

ثم: فرد يغدو مثاله الجماعة وجماعة بات مثالها الفرد.

(*) ١٩٩٠.

هنا لم يعد تبادل مجاملة ولا مزايدة في تشجيع الذات.
بل انقلابُ أدوار.
تيه في الصحراء أم تحقيقٌ للذات؟
هذا التساؤل مطروح في المجتمعات الغربية. المجتمعات العربية لم تصل الى هذا المستوى من لقاء الذات. إنها لا تزال تعيش داخل أنظمة لا تسمح بكشف مثل هذه الهموم ولا باعطائها الصدارة. فهنا ممنوع البحث عن السعادة (وعن الشقاء أيضاً إذا كان من طريق الحريّة) بحجّة أن العدوّ على الأبواب.
الحياة ممنوعة بحجة الموت.

*

المجتمعات الغربية (ومقلدوها) تخلق المدمنين ثم تدعي أنها تريد شفاءهم.
ادمان كل مستهلَك وبضاعة وعلاقة.
بما في ذلك، بل على رأسه، الجنس (في الأصل، أي في العلاقات، وفي البديل أو الهامش، أي في السينما والمجلات والكتب).

المجتمعات الحديثة تخلق قطعاناً توهمهم أنها تعطيهم الحرية. تُعيّشهم داخل قضبان الادمان، يدورون على فتيل أرواحهم، وهم يحسبون أنهم «اختاروا» طريقهم.

لقد قضت المجتمعات الحديثة على «الخطر» في الاختيار، «الخطر» في الحرية، «الخطر» في الخطأ والخطيئة بأنْ دجَّنت هذه الأخطار، وعمَّمتها بعدما ابتذلَتْها، وقَوْنَنَتْها، و«رتبّتها» بما يخصيها تماماً فلا تعود تُحرّر ولا تثير حقاً، وعلَّبتها مزيَّنة لمّاعة، وسوَّقتها بالجملة والمفرّق، بعيداً من أي سرّ، أو انتهاكية، وقد باتت هذه «الاخطار» السابقة أشباحَ ذاتها، ليس فيها من شياطين التجربة غير الرياضة البدنية المقززة ولا من أزهار الشر غير باقات الموت: موت الشعر، والعصب، والخيال، والجاذبية، والروح، والجسد كلّه.

وهكذا ضمت المجتمعات الحديثة العُصاة إلى الحظيرة.
ليس لأنها أباحت كما قد يُظن، بل لأنها تَفَّهت وأخصتْ ودَجَّنتْ وزوَّرتْ، قبل أن تُبيح.
وصنعتْ مدمنين لهذه الرذائل الزائفة هم أشد تبعيةً لها من مدمني «الفضائل»...

وبات على الخيال أن يجترح خطايا جديدة.

*

... ولكنْ ماذا لو كان هكذا أَرْيَح؟

في النهاية، هذا التسويق لـ «الرذيلة» فيه بعض اللذة

(ولـو بطعم الـرماد) وليس كله قضـاءً مداوراً عـلى اللذة (وخزّانها النفسي التحريري الجبّار).
ماذا فيه «جيّد»؟
فيه هذا الانحلال الاجتماعي، المنـافي للعنف الدمـوي، إذْ هو ينفّس الطاقة العدوانية.
ماذا فيه أيضاً؟

الاستمنـاء الاجتماعي، يُخـرج المجموع، ولـو مرة، ولـو بالطريق السفليّ، من حلقة الجنس للتناسل، ليـدخله في عـالم مفتوح عـلى المجانيـة، ولو كـانت مجانيـة خداعـة، ومدفوعة الأجر، وملغومة بنقيضها مقنَّعاً...

لا أدري أيضـاً، ولكنْ ثمة في هـذا الفساد العـام، هذا الانحطاط، هذا التأميم للمباذل، ما يومىء إلى أن نقطة وَصْـل المنقـطع، نقـطة لقـاء المفصــول بينهـما، لم تعــد ببعيدة.

نقـطة انصهـار «الفضيلة» و«الـرذيلة» حيث لا يعـود من صراع يمزّقنا.
ولا من عقاب ولا من طوفان.
فبعـد الفضيلة المنافقـة، والمـزورة، هـوذا عصر الـرذيلة المنافقة والمزورة.
وكما أفلست الأولى ستفلس الثانية.

لعلّها تظهر حينها القارةُ الغائرة في أعماق الروح.

*

ندين الطغاة لانهم يعتقلون الناس فلماذا لا ندين الاديان التي تعتقل التاريخ؟

*

فشلتْ كل الثورات لا لأن ما قبلها كان أفضل منها بل لأنها هي لم تتخلص من الإثم الذي يحوّل الثورات بدورها كوابيس: السلطوية.

الثورة الفضلى هي التي تزيل السلطات وتؤسس العالم على أوضاع مفتوحة، لا تحكمها جريمة السلطة ولا سلطة الجريمة.

*

بأي حق تحاكم الحكومات الثورية والانقلابية المجرمين وتعدمهم، وهي التي لم تصل الى الحكم إلا بعد قتل الحكام السابقين ولا تستطيع تأمين بقائها في الحكم إلا بقتل أو بالاستعداد الدائم لقتل المعارضين؟

*

أسـوأ ما في هـذه الكوارث أننـا كنّا نتـوقعها. عيشتْ في الذهن سلفاً حتى أتلفتْ عنصر الصدمة بها.

لـذلك هي من نـوع الحنطة التي إذا سقـطت في الأرض وماتت لا تُثمر من جديد.

موتٌ يلد موتاً ولا يُطهِّر.

مِنْ داخل

سيبقى هناك ما لن أبوح به ولا في كتابةٍ
من كتاباتي.

*

ما قَهَرني دائماً هو أن الآخرين لا يحبونك إلا لعطائك، لانتاجك، لنتائجك... لا بكسلكَ وعقمك. لا بعدم جدواك. لا لوجودك المجرَّد، مجاناً. لا لشيء غير أن يحبّوك ليمتّعوكَ بحبّهم.

*

لم أرَ أوضح من أحلامي.

*

ثمة غربة أكثر أمومة.

*

رفضتُ أن أَبني نفسي لأني أردتُ الطريق دائماً أمامي.

*

المهوى يستهويني لا لأني أحب ملاعبة الخطر فحسب، بل لأن المهوى هو احياناً مَخْرج من صعوبة اقناع الآخر (والآخر فيّ الذي هو ضميري) بالتوفيق بين الشهوات والطهارة.

أُحب أن اقنع نفسي بأني برهان على هذا الزواج.
وما أن أضع أنفي خارجاً حتى أُهاجَم من كل صوب. تنهال عليّ الحجج صارخة أني منافق، وأنَّ ما أقوله سفسطة لتبرير ضعفي، فإما استجابة الشهوات أو التمسك بالطهارة، ولا لعب على الحبلين. . .

لكني في غور طويتي أشعر أني مُحقّ وأن غلطتي هي التردد في الاعتقاد أني مُحقّ.
وكم كان يكون أسهل أن اكون شيئاً واحداً فقط من هذين الشيئين، فأرتاح وأُريح. لكني لا أفعل. لأني أشعر بأن اختيار طريق دون الآخر سوف يكون نصف اختيار، أو اختيار النصف. سوف يكون انقساماً وتقسيماً.
الوصول إلى الواحد، الكلّ، غير المجزّأ.
في كلّ شيء.

الوصول إلى حالة ما قبل الخلاف، ما قبل الخطأ وسوء التفاهم المدمّر. وما بعد الخلاف والخطأ وسوء التفاهم المدمّر، الى ما يُشرّف أعظم أوهامي.

وحشة كثيرة على الطريق، رِيَبٌ وسراب، ظمأ وجوع وخِدَعٌ كثيرة. ومرّات لحظاتٌ من التوفيق، من معانقة الغاية، تكفيك لتتلألأ روحك بمكنونات الأبديّة.

*

أَزَلنا شبابكم أيّها الاحباء بما ألقينا عليكم من هموم طفولتنا المستمرة.

*

الاستسلام لمتعة أن يكون أملي قد خاب.

*

أنا مدين لظلّي بنوري.

*

أيُّ عنف!؟

كلّ القضيّة، في البداية، كانت رقّة في رقّة، رقّة تذوب من صفائها.

لا شيء في الداخل غير الرقّة.
الخارج هو الذي شوهّني.
السخرية، القسوة، التعهير، النفاق...
هذا الخارج العدوانيّ جعلني أحتمي منه بعنفٍ ليس هو بأكثر من صلاةٍ مقلوبة. وإذا كان من عنف حقاً فهو طيّ الجوانح والجوارح، تحت طاولات الروح وخَلْف أدراج النفس، ومن المؤكد أنه ليس برسم التداول اليومي.

أكرهُ الجانب السطحيّ العدوانيّ من عنفي. أكرهه لأنه ضعف، وأنانية ضيّقة، وشحيحُ ظلام الخلوة المطهّرة، ولأنه يُخيف الاطفال لا مَنْ يجب أن يُخيف.
وإذا من عنف أحبّه فهو التماع العينين بلا خطاب، عنف شمس الجبين، عنف فجر الطفولة، عنف البوح، عنف الانطواء، عنف الصمت، عنف توهّج اللؤلؤ الدفين، عنف كبرياء امرأة في الساعات العادية وتواضعها في خلوة الوصال، عنف النعومة الساطع، عنف الصدق القاطع الأنفاس، وكلّها تنجمع في اطار واحدٍ هو الشعر.

كان يمكن أن أغدو مجرماً أو قديساً لو أن رقتي استمرت تنمو بغير تشويه.

مجرماً، أو قدّيساً، أو شعاعاً من الشمس.

*

لستُ أنا مَن يفيق بل مخاوفي.
لستُ أنا مَن ينام بل أحلامي.

*

كان بكَ يأسٌ فلماذا لم تبقَ عنده؟ لقد غطّيتَه برداء الحنان إلى أن سئمتَ الدَوَران حول النور الواشي، الرائع. أضحى الجدارُ جبلاً وسقطتْ دونه حملات التسلّق ومعارك الاختراق. مارسْ ارهاباً واحداً بعد قد يُعينك هو الانتحار، دفعة واحدة لا على مراحل. اقتل نَفْسكَ تقتلْ لغتهم التي ماتت ولا تعرف أن تغيب، تقتل أصواتهم التي ماتت ولا تعرف أن تغيب، تقتل العالم الذي مات ولا يعرف أنه مات، تقتل ما لا يعيش إلاّ بالقتل.

*

ما أحلاكَ أيها المغنّي
تقول عَنّي أَحسن مني
تُبكيني وتسحقني

ببساطة مذبحةِ قلبك.

*

لنَدَعْ تلاقينا
يُعمّق سيرنا واحدنا في الآخر
كلٍّ مداه
قبل أن يأخذنا فراقنا
إلى التلاقي
عَبْر من ستنسى بعضنا
أنا وأنتِ
في أحضانه...

*

لا، حتى تكتشف المرتفعات المُطْلَقَة لا ينبغي حتماً أن تكون أنت نفسك على مرتفع. بل قد ينفع الاستلقاء في المنخفضات.

*

الفتنة نائمة؟
أيقظها...
لتأكل قلبك الجبان

وعقلك المطمئنّ الجبان.
أَطعمِ الفتنة جسدَكَ الابيض الجبان
فلا معنىً لحياتك غير أن تكون
هذه الفريسة
هذه الفريسةَ المنتشية بموتها افتتاناً.
قمْ أيقظها أيها الجبان!...

*

ـ هناك هربٌ ما.
التطلّع يهرب من العين، والسلامُ من اليد.
هناك هربٌ ما.
الصوت لم يعد مالئاً ذاته، والوقت انكسر.
ـ ربما أنت مخطىء.
ـ هناك هربٌ ما.
ـ يمكن من التعب، من الخوف، يمكن من الملل.
ـ ويمكن من الصدق. بعضنا يجد الصدق الدائم ثقيلاً
فيهرب من الصادق.
ـ تعني يجب أن نكذب.
ـ مرّات، يمكن.
ـ لماذا؟
ـ حتى لا يخلط الذين تحبّهم بين صدقك وشيء آخر،

بين براءتك وشيء آخر. حتى لا يفكروا انك غير شاعر بأن هناك هرباً ما. حتى لا يهربوا...

*

... وتبقى حرية في الداخل، في نواة الظلمات، من يُعطيني اياها؟
في خزنة الاسلحة سلاحٌ وحيد ناقص، وهو الاعظم.
من يهديني إليه؟
ماذا ينفع الانسان أن يمارس حرّية الخارج، أن يعشق الحرية، ان لم تكن له، بكل بساطة، حرية البال؟
ما استطعت أن أعرف حرّية البال، التي تكاد أن تكون وحدها الحرية، إلا في لحظات التحايل على فكري.
حرّية اللا انشغال بغير المحرِّرات، لم أصل إليها إلا على أجنحة النشوات الخاطفة القاتلة.

السجين ليس من تَظن. الشاعر ليس كما تظنّ.
ولا محرّض الآخرين.

*

حين تكون بريئاً،
ترتكب الاخطاء والفضائح
لأنك تجهل أنهم يتربّصون لك برشدهم.

حين تكون حراً
تفقد الأمان
لأن الجميع يَكرهون الحر.
حين تكون عاشقاً
يجتمع الرجال ليخونوك.
حين تكون مؤمناً
يتدّبر الله لك أمراً ليمتحنك.
حين تكون كبيراً
يتمددون أمامك ليُقال متكّبر.
حين تغدو، أخيراً، صالحاً لشيء
تفقد القدرة على تنفيذه.
حين تكون طفلاً
يجلس لك الذئب في السرير مكان جدّتك
وإنْ لم يأكلك ليلتها
جَعَلك تشيب من الرعب
وأبقى رعبه فيك ليسلبك ذئبك الآلهي.
وأعظمُ ما تستطيعه يا رفيقي
هو الضحك
من هذا الفخّ الذي خلاصُه فخّ...

*

ترفع صوتك لتُخفي أفكارك.

*

هنا وقتٌ يعيّرك،
وهناك وقت لا يَقْدر أن يعيّرك، لكثرة ما يُخجله جمالك.

*

لو فّكرتُ في العودة لما ذهبتُ.

*

كلُّ شيء بدأ في النشوة.
نشوة تتصاعد بلا انتهاء،
تتصـاعد الى اليـدين، الى الحنجرة، الى عـرس الشمس
والبحر في العينين،
تتصاعد في غمرة النور المقدس.
كل شيء بدأ في النشوة،
نشوتك أيها الجسد الهش،
نشوتك المسروقة...

*

يُضعفني أن أيماني أقوى منك.

*

إن أحد أمنع دفاعاتي ارادةُ الخسارة.

*

حزْنُ وجهها وكرامته وداخلية مأساتها جَعَلَتْني أخجل بوجودي.

الصدق الافتدائي في مقابل الخفّة الدجالة: هكذا هي في مقابلي.

*

«... هذا القرف العارم، الجبار، الهدّام، الأصيل، المنير، الكاسح، الذي يتعاظم في صدري يوماً بعد يوم، قرف من هذا الجنس البَشَري، الحقير، الوغد، اللئيم، البشع، والذي أنا منه، والذي أنا أفضل منه، والذي أنا أسوأ منه، والذي يقتلني لا عجزي أمامه، أمام حقاراته وغباواته فحسب، بل عجزي عن كرهه حتى النهاية...»

*

لم يُدفئني نور العالم بل قولُ أحدهم لي أني، ذات يوم، أضأتُ نوراً في قلبه.

*

أَلا تلتقي وحدة هذا وحدةَ ذاك، عَرَضاً، في أعماق الليل؟
هل تغادرنا وحداتنا تحت جنح الظلام لتتلاقى ويعزّي بعضها بعضاً وقد انعتقتْ من سلوكنا الاجتماعي؟
في آخر الليل لا أحد لأحد يا حبّي.
ولعلها ذواتنا الاصيلة تغادرنا آخر الليل لتتعانق وتستحمّ في نزهة قصيرة من البكاء والحرية.

*

صغرتُ أمام الألم حتى عادت أمي من الموت لتحميني...

*

تعبتُ وأنا أنتظركِ أيتها اللحظة.
اللحظة المنشودة، مفتاح المفاتيح.
خِلْتُني مراراً نلتها. وظللت أتوق سواها معتبراً أن ما حصل لي منها ليس الصميم ولا الأوج.
أين الصميم والأوج؟
وعندما جاءا، ألم أجدهما دون الضالة المنشودة؟
بلى.
فما أصعده وأهبطه دَرَجٌ لا سقف له غير رأسي الاول.

الرأس الأول، ذلك الفردوس المفقود.

*

اخطأتُ من أجل أن أعيش مع أقراني.
ثم أمعنتُ في الخطأ حتى ابتعد عنهم!

*

الدموع الباطنة تفترس الصدر كما يفترس الليلُ الغابات.

*

لو كانت طفولتي العمياء أقوى مما هي لما بدّدني الوعي على دروب السعي اليقظان.
للطفولة ارادتها. لكنها ارادة صمّاء، غائبة عن الوعي الاجتماعي، وحشيّة في «ملائكيتها» لا تُضعفها «ارادة الارادة».

إرادة الطفولة هي إرادة الجوهر، لها شَبَق الفجر عندما يكون لا يزال بُلْجَة.

*

«أنَ أَندمَ على الندم، أنْ أُشفق على شفقتي».

*

أصغرُ مما كنت، لأنك تموت أكثر.
وأغرب مما أنت، لأنك تظلّ تلمع بين قبورك المتكاثرة لمعان الحكاية في خيال الاولاد.

*

ـ ماذا ترى في هذا الليل؟
ـ ما يتخطانا معاً. جسدكِ شمعة في قالب العَدَم.
ـ وماذا ترى في هذا الليل؟
ـ عالم بلا ضحايا.
ـ وماذا ترى في هذا الليل؟
ـ الضباب يهرب وأنا في أحضانه.
ـ وماذا ترى في هذا الليل؟
ـ نهاية الحلم الذي أموت كلّما رأيته، وبداية سيادة الحلم الذي أولد من جديد كلما رأيته، والذي أواصل رؤيته جديداً متجدداً، دونما شعور بنهاية غير نهايتَي الخوف والضجر.

*

مَشاهد الغابات والسهول والواحات تلمحها في عينين تُلقيان عليك طبائعها خطفاً، كمرور المناظر بسرعة البرق من نافذة القطار.

وتكمن في انتظار عودتها كمون الصياد لطريـدة لمحها ثم اختفت، ولن يقوى على اكمال النهار إن هو أقرّ لنفسـه، بعيداً من أفيون الأمل، بأن ذلك الحلم لن يعود، وبـأنه وإن عاد، فلن يؤخذ، وبأنه وإن أُخـذ، فلن يكون بـاراً بوعوده.

إلى متى تبقى الوعود المستحيلة وحـدها السعـادة البريئـة من كلّ عيب؟

إلى أن تحتلّ ساعةُ الخيال، فيفور من الرأس على العالم.

*

لا تزال مياه الاحلام في رأسي تتسع للمزيد من الغرقى، لكنَّ أحداً من غرقاي لم يغرق أكثر مني.

*

بعضهم غرق، فسارعتْ حماقةُ الحيـاة والموت الى انقـاذه من مياهي.

*

أنـا مـدين للذين، من زمـان، تحـدثـوا إليّ بـالقليـل والغـامض، أكثر ممـا أنـا مـدين للذين علّمـوني طـويـلاً وبوضوح.

*

نِعْمَتُكَ يستخفّها صوتُ آلامي.

*

أقوى رباط هو ذلك الذي يشدّني إلى شخص قتلتُه.

هناك في حياتي قبرٌ عزيـز ليس بكبير لكنَّ الـذين فيه هم أفضل مني.

غفـرانهم يغسلني، وندمي يغسلني، ومـع هـذا لا أشفى ولا ارتاح.

أفظع قصاص هو أن يستيقظ القاتل من نَومَة القتل. هو أن تفارقه نعمة الطيش ويعود فيشبه ضحيّته...